
٤
كراسات القدس
حماس
المنطلقات والأهداف
علاء النادي
لا إله إلا الله
محمد رسول الله
فلسطين
حركة المقاومة الإسلامية - حماس

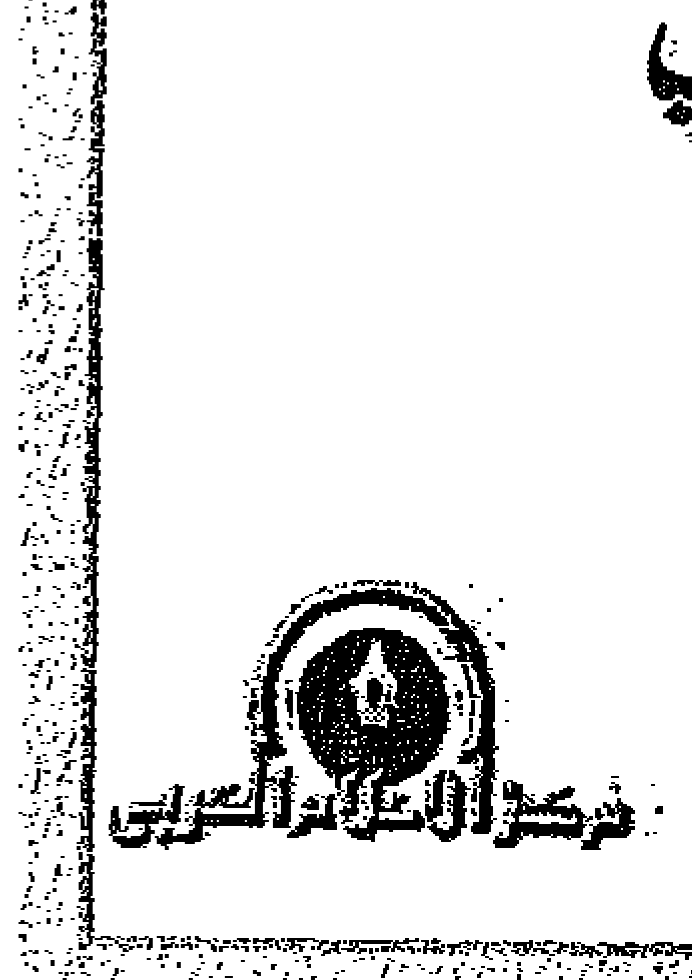
إهــــــــداء ٢٠٠٦
مركز الإعلام العربي
القاهرة





المنطلقات والأهداف

علاء النادي



• الكتاب:

حماس .. المنطلقات والأهداف

• تأليف:

علاء النادي

• السلسلة:

كراسات القدس

• قياس الصفحة:

١٧×١٢

• رقم الإيداع:

٨١٤٠ / ٢٠٠٤م

مركز الإعلام العربي

ص. ب ٩٣ الهرم - الجيزة - مصر

• هاتف: ٣٨٤٤٤٢٢/٣٨٣٣٣٦١

• التوزيع: ٧٤٤٥٤٥٥

• فاكس: ٣٨٥١٧٥١

• الموقع على شبكة الإنترنت:

www.Resalah4u.com

• البريد الإليكتروني:

E .Mail:media-c@ie-eg.com



الإخراج الفني

أحمد عبد المنعم

الغلاف

إيهاب عبد الله



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

حركة المقاومة الإسلامية (حماس) حركة شغلت العالم كله منذ تأسست فى أوائل ديسمبر عام ١٩٨٧م وحتى اليوم، مما دفع كثيرًا من الباحثين والمحللين للكتابة عنها بُغية كشف كنهها، وخلفياتها التاريخية، وجذور نشأتها، ورؤيتها لطبيعة الصراع مع العدو الصهيونى.

إلا أن حاجة كثير من القراء إلى دراسة موجزة توازن بين الحاجة إلى المعرفة، وعدم القدرة على الاستغراق فى التفاصيل، دفعت **مركز الإعلام العربى** إلى نشر هذه الدراسة الجادة والمختصرة **للباحث الأستاذ علاء النادى**.

وقد حاول الباحث أن يعرض بإيجاز لجذور حماس، ومنطلقاتها الفكرية، وأهدافها، ورؤيتها لطبيعة الصراع، وطرحها السياسى والاجتماعى، وعلاقتها مع مكونات المجتمع الفلسطينى.

كما تعرض لحماس والفكرة التكافلية، ورؤيتها للمرأة كشريك فى الجهاد من أجل تحرير فلسطين، وأوضح وسائل التغيير الاجتماعى لديها، ورؤيتها للقطاعين الإقليمى والدولى.

وتحدث الباحث عن حماس والعمل العسكرى، فاستعرض تاريخ هذا العمل وتطوراته ونقلاته النوعية، واختتم حديثه بتفنيد الشبهات التى يثيرها البعض حول العمل العسكرى لحماس وجدواه للقضية الفلسطينية.

نرجو أن يستفيد القارئ من هذه الدراسة التى تأتى فى ظل ظروف دقيقة تحيط بقضية فلسطين وأهلها.

□ صلاح عبد المقصود

توطئة

لم يعد ثمة من يجادل فى حقيقة أن حركة حماس أضحت رقمًا لا يمكن تجاهله على الساحة الفلسطينية، فخصوم الحركة قبل مؤيديها، والمناوئون لها قبل المتعاطفين معها يؤكدون على أن كل مشاريع حل القضية الفلسطينية، وكل التسويات السياسية ليس بوسعها أن تتغافل مركزية الدور الذى باتت تلعبه الحركة فى الواقع الفلسطينى.

لم تصل حماس إلى تلك الوضعية من فراغ، ولم تتبوأ حماس موقعها بسبب جاذبية طروحاتها، وعمق تنظيراتها، فمؤهلات الحضور الفاعل ومناط الوجود المؤثر يرتبط فى الأوضاع الصعبة التى يحياها الشعب الفلسطينى باستعداد أى حركة للانحياز المبدئى والمطلق لمعاناة ذلك الشعب، ومعايشة همومه، والعمل على تخفيف الأعباء حسب ما هو متوافر من إمكانات، إضافة إلى الدور الأساسى المتمثل بتقدم الصفوف فى العمل الجهادى، وتقديم التضحيات. بهذه المؤهلات تكتب الحركة شهادة ميلادها، وتقدم أسباب فاعليتها، وسر استمراريتها، فحركة تكتفى بالتحريض، ولا

هم لها سوى التحليل والتنظير، وحركة معزولة عن مشاكل وهموم مجتمعها، عازفة عن تحمل مسؤولياتها يتعذر وصولها إلى عمق النبض الجماهيرى.

كثيرة هى الدراسات والأبحاث التى أجريت عن حركة حماس، وكثيفة هى التحليلات التى أخذت على عاتقها متابعة مواقف الحركة، والبحث فى أصول مواقفها، وخلفيات أفعالها، وردود أفعالها، ورغم هذه الكثرة، وتلك الكثافة فإن القارئ يظل بحاجة إلى إطلالة سريعة توازن بين الحاجة إلى المعرفة، وعدم القدرة على الاستغراق فى التفاصيل، وربما يجد القارئ فى هذه المحاولة ما يفى ببعض الغرض، ويعين على التزود ببعض المعلومات، والإحاطة بالمعالم والقسمات الأساسية فى فكر وتنظيم حركة شغلت العالم بأسره.

●●●

المحور الأول

الخلفيات التاريخية وجذور النشأة

يندهش الكثيرون وهم يطالعون الانطلاقة الوثابة لتلك الحركة الفتية، فمنذ أن تم الإشهار الرسمى للحركة فى أواخر عام ١٩٨٧م، وحركة حماس منذ البواكير تؤكد على عمق تجذرها فى الواقع الاجتماعى الفلسطينى، الأمر الذى مكنها، ومنذ فواتيح عهدها من اعتلاء مكانة سامقة فى الحالة الفلسطينية، وذلك الاندهاش يبدو منطقيًا لمن ينظر إلى حماس، وكأنها ابنة العام ١٩٨٧، ويبقى الاندهاش إذا صُرف النظر عن التدقيق فى فكر الحركة، ومنهج عملها، إلا أن الأمور تزداد انجلاء، ويزول الاندهاش إذا ما حاولنا الإحاطة بالجذور التاريخية للحركة ومنهجها فى الإعداد والتكوين.

صلابة العود وعمق المنبت يؤكدان على أن حماس لم تتأسس بشكل لحظى، وفى إطار من العفوية والفورية، فقد سبق الإعلان عن تأسيس حماس سنوات من البذل والعطاء، حيث دأب رجال الحركة الإسلامية فى فلسطين على استفراغ الوسع، وبذل الجهد، وقد امتلكوا ناصية الحكمة والتريث على قاعدة الصبر والمثابرة، وابتعدوا عن الانجرار وراء الاندفاعات العاطفية، وعدم الاستجابة للمثيرات والاستفزازات.

أخـذ هؤلاء الرجـال على كـاهلهم مـؤونة الشـروع فى تكوين محـاضن التـربيـة، وإحياء سمت الحركة الإسـلامية فى عـصرها الزاهر، حيث تعميق الارتباط بالمجتمع، والانفتاح عليه، والعمل على إنضاجه وتأهيله حتى يمتلك القدرة على خوض التحديات، وتتولد لديه القابلية لتحمل التضحيات، وقد توازى مع ذلك إصلاح الذات الحركية على مستوى الأفراد، وفى الإطار الموضوعي.

كـان المرد فى هذا الإدراك وعى الرعيل الأول بأن الإعـلان عن مـيلاد الحـركـة ينبـغى أن يسـبـقـه أشـواط فـى مناحى الإعـداد، ونشاطات التكوين، فالحركة المرتجاة ستواجه - يقينًا - واقعًا شديد التعـقيـد، ملىء بالصـعـاب والمخـاطرات، كـثـيـر التـعـرجـات، متـرع بالمحكات، ولن يثبت فى ذلك الطريق الوعـر إلا من رُزق توفيق الله، ثم وطن نفسه على العطاء دون انتظار لمردود يأتى من هنا أو هناك.

الإشـارات السـالفة تقـحمنا عنوة فى التعرض لما يثيره البعض حول مسائل الشرعية التاريخية، وأسبقية النضـال، مما قد يبدو مـعـه الأمـر وكـأن حـمـاس نبت مـقطوع الصلة بتـاريخ الكفـاح الفلسطينى، وأنها ورجـالها وامـتدادها الفكرى طارئون على العمل الجهادى.

إن الحقيقة التى يمكن اسـتخلاصها من وقـائع التاريخ وحقـائقه تشـيـر إلى أن حـمـاس لم تأت من الفـراغ، ولم تهبط من المجـهـول، **فـحـركـة حـمـاس ليـست سوى امـتـداد تـاريـخى لحـركـة الإخـوان المسلمين** التي حـازت قـصب السـبق، وتخطت الجـمـيع فى تقـدير حجم الخطـر الصهيونى منذ البدء، وسعت إلى مقارعته؛ فقد تنبهت

الحركة الإسلامية إلى فداحة الخطر الذى تشكله الهجرة الصهيونية على مستقبل فلسطين، ولم تقتصر أدوار الحركة الإسلامية على التنبيه وإيقاظ الوعى، ولم تكتفِ بالتحريض على الإعداد والجهاد. فقد أضافت إلى كل ذلك أخذها زمام المبادرة فى منابذة العدو الصهيونى، والالتحام معه فى أولى جولات الصراع، ولولا ما أحاط بالحركة الإسلامية من ظروف يعلمها القاصى والدانى لكان لمصير الصراع شكل آخر.

والشاهد أن الإعلان عن تأسيس حركة حماس لا يعدو كونه حلقة فى سلسلة العطاءات، وثمرة من ثمار العمل الإسلامى فى الساحة الفلسطينية، فرغم الظروف بالغة القسوة التى عاشتها الحركة الإسلامية فى فلسطين، وخاصة بعد ما حاق بالعمل الإسلامى فى الدول العربية من ملاحقات واضطهادات، وبعد ما وضع العدو الصهيونى كامل التراب الفلسطينى تحت قبضته بعد حرب عام ١٩٦٧، إلا أن كل تلك الصعاب والمحن لم تثن رجال الحركة الإسلامية عن قصدهم، ولم تنل من عزيمتهم، فقد ظلت هناك زمرة تحافظ على فكر الحركة الإسلامية، وتلتزم منهجيتها.

وقد توافر لهذه الزمرة من الحنكة، ورباطة الجأش، ومضاء العزم ما مكنها من النهوض بمسؤوليات الحفاظ على الهوية، وتأسيس قواعد لانطلاق المشروع المقاوم وفق الأسس والثوابت الإسلامية، وبالرغم من أن أوضاع الحركة الإسلامية فى فلسطين بعد عام ١٩٦٧ لم تكن تسمح بهامش للحركة، أو توفر مجالاً للعمل الجهادى، إلا أن رجال الحركة الإسلامية أبوا إلا أن يشاركوا فى

القتال، ويواصلوا مسيرة الجهاد. ونظرًا لصعوبة الأوضاع، وبالنظر

إلى أن حركة فتح قد حظيت بمشروعية التواجد، وأخذت فى تنظيم العمل الفدائى عبر الحدود الأردنية، فقد شارك رجال الحركة الإسلامية، وأقاموا معسكرات لهم تحت اسم فتح، غير مبالين بالبحث فى اللافتات، وإثبات الألقاب، عرفت هذه المعسكرات بمعسكرات الشيوخ، وكان لرجال الحركة الإسلامية ثلاث سرايا، وخاضوا العديد من المعارك ضد الصهاينة، ومن تلك المعارك معركة المشروع، أو الحزام الأخضر عام ١٩٦٩، ومعركة ٥ من حزيران ١٩٧٠، وعملية سيد قطب ١٩٧٠، وقد بلغ شهداء الحركة الإسلامية فى هذه المعارك ثلاثة عشر شهيدًا.

بعد الاحتلال الصهيونى للقدس، والضفة الغربية، وقطاع غزة، وفى ظل الأوضاع الصعبة التى عاشتها الحركة الإسلامية خارج فلسطين آلت الصلة بين الحركة الإسلامية فى الداخل والخارج إلى الانقطاع، وقد حتمت تلك الظروف على الحركة الإسلامية فى الضفة والقطاع انتهاج سياسة التحرك الأفقى، واعتماد الاتجاه المناطقى فى إدارة شؤون العمل الإسلامى، وقد ساهمت هذه السياسات فى التنامى المطرد للعمل الإسلامى.

جاءت باكورة النشاط الإسلامى بصيغته الحركية ممثلة فى المجمع الإسلامى الذى تم تأسيسه فى عام ١٩٧٣ على يد الشيخ أحمد ياسين، وتركزت نشاطات المجمع حول ميادين نشر الفكرة الإسلامية، وصياغة الشخصية الفلسطينية وفق المقومات الإسلامية.

جسد المجمع الإسلامى منذ البدايات الفكرة الشمولية، حيث انصرفت اهتماماته إلى جل أنواع النشاط الاجتماعى، فقد تكون المجمع من مسجد أضيفت إليه عيادة طبية، وناد رياضى، ورياض أطفال، ولجنة زكاة، ومركز نشاط نسائى، ولجنة إصلاح، وفرق أفراح إسلامية، وقد نهض المجمع على أكتاف مجموعة من قيادات العمل الإسلامى منهم: الشهيد أحمد ياسين، سليم شراب، أحمد دلول، إسماعيل أبو العوف، أسعد حسنية، مصطفى عبد العال، عبد الحى عبد العال، لطفى شبير، يعقوب، أحمد أبو الكاس وآخرون.

وقد أثبتت الأحداث عمق نظر قيادات العمل الإسلامى، فقد أتت مجهوداتهم المؤسسة على رؤية واضحة أكلها، ومن ثم أخذت الفكرة الإسلامية فى التغلغل فى تضاعيف الواقع الفلسطينى، وتم اجتذاب شرائح وقوى اجتماعية اصطفت خلف الفكرة الإسلامية، مع تنامى الحضور الإسلامى فى الواقع الفلسطينى، ومع الانفراج النسبى فى أوضاع الحركة الإسلامية خارج فلسطين تم عقد مؤتمر فى إحدى البلدان العربية فى عام ١٩٨٢، وقد ضم ذلك المؤتمر رجال الحركة الإسلامية فى الضفة والقطاع، وتجمعات المسلمين فى الشتات إلى جانب رجال الحركة الإسلامية فى البلد المضيف.

تصدرت مسألة الواجب الجهادي، وقتال العدو الصهيونى أولويات المؤتمر، وقد انقسمت الآراء، وتوزعت حول رؤيتين دعت أولاهما إلى الإسراع الفورى فى تفعيل العمل الجهادى على الصعيد الميدانى، ونادت الأخرى بضرورة التمهل، وإتمام الأمر إلى منتهاه فيما يخص قضايا الإعداد والتكوين، وتهيئة البيئة الاجتماعية، وقد

حسم الأمر لصالح الرؤية الثانية.

تسارعت وتائر العمل صوب إعداد الساحة الفلسطينية لاحتضان مشروع المقاومة، فبينما كانت محاضن التربية تتفرغ لمهام الصقل والتكوين، كانت النشاطات الدعوية تتجه نحو الالتصاق بالمجتمع، وشحنه وتغذيته بالفكرة الإسلامية، فى غضون ذلك كان الشيخ أحمد ياسين يعتنى بقضية توفير المستلزمات العينية للجهاد العسكرى، حيث أولى عناية كبيرة لمسألة شراء السلاح وتخزينه، وفى العام ١٩٨٤ تم توجيه ضربة صهيونية لذلك العمل، فعلى إثر ضبط كمية من الأسلحة والذخائر تم اعتقال الشيخ الشهيد أحمد ياسين وعبد الرحمن تمراز، وعرب مهرة، والشهيد الدكتور إبراهيم المقادمة، والدكتور محمد شهاب، وقد صدرت ضدهم أحكام تجاوزت لدى البعض مدة العشر سنوات، وقد حكم على الشيخ أحمد ياسين (رحمه الله) بالسجن لمدة ثلاثة عشر عامًا أمضى منها أحد عشر شهرًا، ثم خرج ضمن صفقة تبادل الأسرى التى قادتها الجبهة الشعبية.

رغم تلك الضربة واصل رجال الحركة الإسلامية عملهم، وفى أواخر العام ١٩٨٧ تجمعت الأسباب والإمكانات، وتوفرت الأجواء الملائمة للبدء بانطلاق مشروع المقاومة، والإعلان عن الكيان الحركى الإسلامى، وقد جاءت إحدى الوقائع المؤلمة لتدفع بالإعلان عن ذلك الانطلاق، فقد دهست مقطورة صهيونية سيارة كانت تقل عمالاً فلسطينيين، فقتلت عددًا من سكان معسكر جباليا، وعقب تطاير الأنباء عمت التظاهرات الغاضبة معسكر جباليا.

في مساء ذلك اليوم التقت قيادات الحركة الإسلامية بغزة فى منزل الشيخ أحمد ياسين (رحمه الله) لتدارس الأمر، وقد أفضى النقاش إلى صدور قرار بإشعال الانتفاضة، والبدء بالتصادم مع قوات الاحتلال، وتم الاتفاق على إشهار حركة المقاومة الإسلامية - حماس - وقد شارك فى ذلك الاجتماع التأسيسى للحركة كل من: الشيخ محمد شمعة، الشيخ عبد الفتاح دخان، الشيخ الشهيد صلاح شحادة، الدكتور عبد العزيز الرنتيسى، الدكتور إبراهيم اليازورى، المهندس عيسى النشار، بالإضافة إلى الشخصية المضيفة ممثلة بالشيخ أحمد ياسين (رحمه الله).

● ● ●

المحور الثاني

المنظومة الفكرية لحركة حماس

يتوهم البعض أن حماس ليست إلا بندقية منفلتة، أو أنها تنحصر كليًا فى المجال العسكرى دون أن تتوفر على ما هو أبعد من ذلك من حيث قدرتها على امتلاك مشروع حضارى وطروحات واقعية لمشروع سياسى واجتماعى يلبى الطموحات الفلسطينية.

والحقيقة أن العمل العسكرى للحركة، ورغم بروزه الواضح ليس سوى انعكاس لمصفوفة فكرية تضع فى تضافر وتراسل عناصرها رؤية فكرية ذات صياغات استراتيجية متماسكة.

تتبنى حماس المرجعية الإسلامية، فعلى ضوء قراءة الحركة لتعاليم الإسلام، وتقيدًا بمقتضياته دشنت حماس قاعدتها الفكرية، سواء أكان ذلك على مستوى قراءة الصراع، وتحديد الأهداف، واختيار الوسائل، أو كان ذلك على صعيد الطرح السياسى والاجتماعى.

تتوفر أدبيات حماس على رؤية متكاملة ومشروع متسق يتجاور فيه السياسى مع الاجتماعى، ويتحدد فيه الثابت والمتغير، وتتمايز فيه الوسائل عن الغايات، وبصفة عامة يمكن عرض مجموعة من المحاور الأساسية فى ذلك الشأن منها:

- رؤية حماس لطبيعة الصراع مع العدو الصهيونى.
- الطرح السياسى والاجتماعى.
- إدراك حماس للفضاءين الإقليمى والدولى.

رؤية حماس لطبيعة الصراع مع العدو الصهيونى

أسست حماس رؤيتها لحقيقة الصراع مع العدو الصهيونى من خلال الالتزام بالثوابت العقدية، تلك الثوابت التى توضح خلفيات الصراع، وترسم طبيعته، وتضع المعالم الحاسمة لمآله، كما التزمت حماس بالثوابت العقدية التى تحرم التنازل عن أى مساحة من فلسطين.

تضيف حماس إلى هذه الثوابت ما يتوافق معها، ويعززها مثل الوعى بالخبرة التاريخية، فعوامل التناقض بين المشروع الحضارى الإسلامى، وبين المشروع الصهيونى الاستعمارى وأطماعه لا تدع مجالاً للحديث عن تعايش مبدئى، أو سلام مطلق، فالشكل الصراعى سيظل هو المتحكم والناظم للعلاقة، وما قد يجرى من حلول تجزيئية هنا أو هناك لا يمكن أن يمثل بحال الأفق النهائى لمآل الصراع، فالعدو الصهيونى المتدثر بالعباءة اليهودية، والضالع فى انتزاع الأرض من أصحابها الأصليين، وزرعها بالعصابات المستجلبة، والمرتكن إلى ترسانته العسكرية، والمستند إلى الدعم الغربى له، وخاصة الدعم الأمريكى، ذلك العدو لن يجنح للسلم،

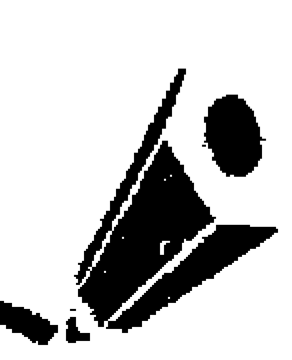
ولن يكف عن أطماعه فى الهيمنة وتثبيت النفوذ، وحتى لو اضطر ذلك العدو، بدافع العجز، إلى الدخول فى تسويات منقوصة هنا أو هناك، فإن ذلك لن يغير من حقيقة الأمر، فالسلام النهائى والمستقر سيتحقق حالما تعود الحقوق الفلسطينية والعربية كاملة إلى الأمة، وبعد تفكيك ذلك المشروع وتقويض بنيانه.

ثمة من يغمز فى قناة حماس ويرميها بالتعنت والتحليق فى عالم الأحلام، وعدم التقيد بعالم الموجودات المحسوس، فهدف تحرير فلسطين من البحر إلى النهر يغدو طرحًا عبثيًا، بالنظر إلى حقائق الواقع، وباستصحاب رؤية الاختلال الهيكلى فى موازين القوى بين العدو الصهيونى وامتداده الغربى وبين الأمتين العربية والإسلامية، ويحيل هؤلاء إلى ضرورة أن تعيد حماس صياغة رؤيتها، وضبط قاعدتها الفكرية، وتحديد أهدافها استنادًا إلى تلك الحقائق العملية، فى وجه هذه الاتهامات، وتلك الأغاليط تجاهر حماس بأن رؤيتها ستظل ثابتة، ذلك أن ثباتها مستمد بالأساس من ثبات مرجعيتها العقدية، وتبعًا لذلك فإن هدف التحرير الشامل، والنظر إلى العدو الصهيونى كمحتل غاصب، وخصم حضارى ستبقى محددات أساسية لا تحيد عنها الحركة، ولا يمكن أن تستبدلها بأهداف جزئية، أو أن تقايضها بحلول منقوصة.

ولا يعنى ذلك أن حماس يلفها الجمود، أو أنها تقرأ النصوص إزاء الواقع بشكل حرفى، فالمرجعية الإسلامية التى تستند إليها حماس تتميز بالمرونة، وهى مرونة تختلف عن الميوعة، ففى الفقه الإسلامى، وفى الخبرة التاريخية الإسلامية هناك مجال للحديث عن فقه الضرورة، إلا أن هذه الضرورة تقدر بقدرها، وتظل

أحكامها إجرائية، وتتخذ طابع الاستثناء.

على هذه القاعدة فإن حماس لا تمانع فى انتزاع بعض الحقوق بما يتناسب وظروف الواقع، وقد بات الحد الأدنى لهذه الحقوق دولة فلسطينية كاملة السيادة على الأراضى التى احتلت فى عام ١٩٦٧، وتكون القدس عاصمتها مع ضمان عودة اللاجئين، شريطة ألا يكون ذلك بمثابة التنازل عن باقى فلسطين، فللأمة الحق فى العمل من أجل استعادة كافة الحقوق المسلوبة، وحسب ما قاله أحد قيادات حماس فإن الحركة مع أى حل مرحلى، ولكن دون الاعتراف بالعدو الصهيونى، أو بوجوده، أو بكيانه، بمعنى أن الحركة لا تعارض أى انسحاب صهيونى من أى جزء من فلسطين شريطة عدم الاعتراف بالعدو الصهيونى.



الطرح السياسى والاجتماعى

- **الطرح السياسى:**

قبل أن نلج إلى استعراض المكونات الأساسية للفكر السياسى لحركة حماس، وخاصة تلك المرتبطة برؤية الحركة للواقع السياسى الفلسطينى، والعلاقة بين مكوناته، فإن بداهة الأشياء تحتم تناول قضية المشروعية السياسية كحامل أساسى للرؤى والأفكار.

تمثل المشروعية السياسية الوجه الآخر للرضا الاجتماعى، ومقدار تمتع حركة ما بقاعدة من التأييد والتفهم الجماهيرى

لطروحاتها، فالمشروعية السياسية تكتسب أهميتها الفائقة باعتبارها جواز المرور، وصك الشرعية الاجتماعية الذى يعطى لأى حركة سياسية مسوغات التواجد، ويمنحها القدرة على الاستمرار والحضور الفاعل، وتزداد أهمية المشروعية السياسية فى واقع المجتمعات المحتلة، وترتفع كلفتها فى آن معًا، فالمشروعية السياسية فى هذه الحالة تتطلب وضوحًا فى الأهداف، وشفافية في الأداء، ورصيدًا موضوعيًا من التضحية والعطاء، سواء ارتبط ذلك بمصارعة الاحتلال، أو اتجه إلى معالجة الهموم الاجتماعية.

ساهم الأداء الفاعل لحماس فى سرعة حيازتها للمشروعية السياسية، فقد أوفت الحركة باستحقاقات ذلك المطلب، حيث قدمت البراهين العملية التى تثبت أنها حركة مجاهدة يطابق قولها فعلها، فقد قدمت الحركة مئات الشهداء وآلاف المعتقلين، ولم يتوقف عطاء حماس عند حيز العمل العسكرى، فقد أضافت الحركة إلى ذلك رصيدًا متعاظمًا فى مجال العمل الاجتماعى، ففى ظل الهجمة المستعرة على الشعب الفلسطينى، وسعى العدو الصهيونى إلى محاصرته وتجويعه من أجل كسر إرادته، استفرغت حماس كل طاقاتها من أجل تقديم الدعم، والإسناد للشعب الفلسطينى، وقد بلغ أداء مؤسسات الحركة التكافلية شأوًا اضطر معه خصوم الحركة للاعتراف به، وقد تجلى ذلك فى موقف الاتحاد الأوروبى، حيث تحدث مسؤولوه عن الدور الاجتماعى البارز للحركة، ذلك الدور الذى أعجز أعداء الحركة عن الإتيان بما قد يشوبه من تهم الفساد والمحسوبية.

● **العمل السياسي ووسائله:**

أعلنت حماس منذ فواتيح عهدها انحيازها المطلق للعمل المؤسسي، وتقيدها بما تتوافق عليه الجماهير الفلسطينية، ومن ثم فقد ذهبت حماس إلى اعتبار القرار الجمعي النابع من الإرادة الجماهيرية الحرة مرجعية حاكمة ومحددًا ينبغي الالتفات إليه، الشيء الوحيد الذي اشترطته حماس في هذا السياق هو معارضتها للدخول في أية هياكل أو أوعية سياسية تتقيد بمشاريع سياسية تحمل في طياتها تنازلات تمس الحقوق الفلسطينية.

تأسيسًا على ما سبق خاضت حماس الانتخابات الطلابية والمهنية في مواقع مختلفة، ورغم الظروف الضاغطة التي تحيط بالحركة، إلا أنها تمكنت في كل استحقاق انتخابي خاضته من تحقيق نجاحات لافتة، وقد انعكس حضور حماس الفاعل في المشاركات الانتخابية على خطابات وبرامج القوى السياسية الأخرى، فقد ساهم الخطاب الإسلامي لحماس وقدرته على الحشد والاستقطاب في دفع القوى الأخرى لمحاكاته، ومما يذكر في هذا الصدد أن الاتجاه الموالي لمنظمة التحرير خاض انتخابات الغرفة التجارية في نابلس في مايو ١٩٩٢ تحت اسم الاتجاه الوطني المسلم.

ورغم أهمية العمل السياسي، إلا أن حماس لم تجعله أصلاً ثابتًا أو هدفًا بحد ذاته، فقد نظرت حماس للعمل السياسي باعتباره آلية ووسيلة للحركة، وتبعًا لذلك فقد أحاطت حماس العمل السياسي بجملة من القيود:

القيد الأول: التزام المرجعية الإسلامية، حيث كان عملها السياسى إسلامى الشعار والمضمون، ويمكن استشفاف ذلك من خلال متابعة توجهات الحركة، ومعالجتها للأحداث والقضايا.

القيد الثانى: الاحتراز من أن يفضى العمل السياسى إلى تعطيل الجهاد، أو إبطاله ضد العدو الصهيونى، فقد اعتبرت الحركة الجهاد وسيلة استراتيجية، ولم تتقبل فكرة الاستعاضة عنه بالعمل السياسى.

القيد الثالث: ضبط سقف العمل السياسى، بحيث لا تتفتح الأمور على أية احتمالية للتسليم للعدو الصهيونى بالسيادة على فلسطين على وجه الدوام والتأبيد، أو التنازل عن جزء من فلسطين.

القيد الرابع: أن لا يؤدى العمل السياسى إلى إنهاء وجود الحركة قبل تحقيق أهدافها، أو أن يسهم فى تهميشها، أو عزلها عن الساحة.

حماس والعلاقة مع مكونات المجتمع الفلسطينى

منذ البدايات حرصت حماس على توضيح مواقفها، وإظهار منهجيتها وقواعدها الحاكمة فى التعامل مع القوى السياسية والاجتماعية والعقدية، التى تشكل الواقع الاجتماعى الفلسطينى.

وقد أكدت أدبيات حماس على أن الحركة لا تسعى إلى المزاحمة

السياسية، وأنها ضد أساليب الإقصاء والتهميش، وقد اتصف خطاب حماس بالتفصيل، حيث عرض لرؤية الحركة للعلاقة بالقوى الوطنية الفلسطينية، وعلى رأسها منظمة التحرير، والعلاقة مع المسيحيين الفلسطينيين.

وعلى صعيد العلاقة بالقوى السياسية الفلسطينية أعلنت حماس التزامها خيار التعايش كأساس استراتيجي يضبط وينظم العلاقة بين أبناء البيت الفلسطيني بمختلف تلاوينهم واتجاهاتهم، وقد كررت حماس الدعوة إلى ضرورة العمل من أجل صيانة الائتلاف الوطني، وتعزيز الأواصر بين كافة القوى الوطنية، ومما ورد في ميثاق الحركة خاصًا بهذا الشأن: إن الحركة جاءت لتكون سندًا وعونًا لكل الاتجاهات الوطنية العاملة على الساحة الفلسطينية من أجل تحرير فلسطين، والحركة بقولها وعملها حاضرًا ومستقبلاً تجمع ولا تفرق، تصون ولا تبدد، توحد ولا تجزئ.

يتوهم البعض أن حماس ولأغراض التنافس السياسى تنظر بشكل سلبى مطلق لمنظمة التحرير الفلسطينية، وأن الطابع العدائى هو المهيمن على رؤية الحركة للمنظمة، والحقيقة أن حماس ومنذ البدء كانت حريصة على تجلية موقفها، وقد أثبتت حماس أن لها من الحصافة ما يطمئن الساحة الفلسطينية على أن الساحة الفلسطينية لن تكون ميدانًا للتصارع الداخلى. أجملت حماس موقفها من منظمة التحرير بما جاء فى ميثاق الحركة من أن منظمة التحرير الفلسطينية من أقرب المقربين إلى حركة

المقاومة الإسلامية - حماس - ففيها الأب، أو الأخ، أو القريب، أو الصديق، وهل يجفو المسلم أباه، أو أخاه، أو قريبه، أو صديقه؟ فوطننا واحد، ومصابنا واحد، ومصيرنا واحد، وعدونا مشترك، فموقف حركة المقاومة الإسلامية من منظمة التحرير الفلسطينية هو موقف الابن من أبيه، والأخ من أخيه، والقريب من قريبه، يتألم لألمه إن أصابته شوكة، ويشد أزره فى مواجهة الأعداء.

وقد برهنت المحكات العملية على أن حماس لم تكن تطلق شعارات من أجل استدرار العطف أو التعمية لصرف الأنظار عن المخبوء، فحماس لم تكن بمواقفها تستهدف تحسين الصورة بقدر ما كانت تعلن عن قناعات مبدئية تتحكم بشكل صارم فى ضبط وتحديد مسلكياتها.

حين أقدمت السلطة الوطنية على ملاحقة حماس، واعتقال كوادرها وقياداتها، وإغلاق مؤسساتها، ظلت الحركة ثابتة على أفكارها، متساوقة مع قناعاتها. ومن الوقائع المعبرة فى هذا الصدد ما جرى من اعتداء على بعض أبناء الحركة، وصل إلى حد التصفية فيما عرف بمجزرة مسجد فلسطين فى عام ١٩٩٤، فقد علق د. محمود الزهار - القيادى فى الحركة - قائلاً: إن استراتيجية حماس تجاه الوحدة الوطنية هى استنفاد جميع الوسائل لضبط النفس، إن العالم كله يعرف أنه لو أن «إسرائيل» هى التى فعلت ذلك لكانت الحركة انتقمت منها شر انتقام، أى أن هذا الضبط للنفس ليس مبنيًا على أساس من الشعور بالضعف، إن الحرب الأهلية بالنسبة لحماس خط أحمر لا ينبغى الوصول إليه مهما كلف الثمن.

على صعيد العلاقة مع المسيحيين من أبناء فلسطين يمكن القول: إن حماس تواصلت فى طروحاتها حولهم مع الفكر الإسلامى المستنير، فقد تبنت حماس رؤية مؤداها أن العلاقة مع المسيحيين الفلسطينيين تتحدد على ضوء الشراكة، وعلى قاعدة المواطنة، وقد خلصت حماس إلى أن هذه العلاقة تقوم على عدة ثوابت:

١ - المسيحيون الفلسطينيون جزء لا يتجزأ من الشعب الفلسطينى والأمة العربية، وهويتها الحضارية.

٢ - يجمع المسيحيين الفلسطينيين مع بقية الشعب الفلسطينى رباط المواطنة، فلهم ما لهم من الحقوق، وعليهم ما عليهم من الواجبات.

يلاحظ المتابع للبيانات الصادرة عن حركة حماس احتواءها على مجموعة من الإشارات التى تخص العلاقة مع المسيحيين الفلسطينيين منها:

١ - الإشارة إلى أعيادهم ومناسباتهم الدينية فى بيانات وفعاليات الانتفاضة، ومشاركتهم فى الممكن منها.

٢ - دعوتهم لعدم الهجرة بسبب ضغوط الإرهاب الصهيونى.

٣ - التأكيد على أهمية اشتراكهم فى الحياة السياسية والكفاحية للشعب الفلسطينى فى فترة الاحتلال وبعد التحرير، والعمل على استقطابهم للعمل فى المؤسسات الوطنية.

٤ - الدعوة إلى فتح علاقات مع قياداتهم الدينية والسياسية، ومشاورة زعاماتهم فى شؤون البلاد.

وإذا كانت حماس قد داومت التأكيد على مواقفها المبدئية بشأن الوحدة الوطنية، وشددت على ضرورة ضبط العلاقة بين القوى السياسية الفلسطينية على قاعدة التحاور، وتحريم التنازع، وتفويت الفرصة على المخططات الصهيونية، وإفشال رهاناتها على سياسة فرق تسد، فإن الأمر ذاته انعكس على صدقية مواقفها ومبادئها بشأن العلاقة مع المسيحيين الفلسطينيين.

حيث ظلت الساحة الفلسطينية بمنأى عن شبح التوترات الطائفية، ويبقى السمت العام الذى ميز ممارسات الحركة منذ إنشائها فيما يتعلق بهذا الجانب هو مبادلة الحركة الاحترام للمسيحيين، والانضباط بالسياسات العامة التى ألزمت الحركة نفسها بها.

ومن الشواهد العملية الدالة فى هذا الصدد مسارعة الحركة إلى إلغاء أحد الإضرابات الرئيسية فى ديسمبر ١٩٩٠؛ لأن موعد الإضراب تزامن مع عيد ميلاد المسيح (عليه السلام)، وعوضًا عن ذلك طالبت الحركة فى بيانها الدورى رقم ٦٧ بتاريخ ١٩٩٠/١٢/٣، بفتح المحلات التجارية بمناسبة ذكرى ميلاد المسيح (عليه السلام).

وقد أضافت الحركة إلى فعاليات الانتفاضة اعتبار عيد ميلاد المسيح (عليه السلام) أيامًا تتوافد فيها جموع المسلمين على بيوت المسيحيين مهنئين بالعيد.

ومن المواقف المشهورة لحركة حماس دعوتها إلى تحريم شراء البضائع التى سلبها اليهود من سكان بيت ساحور ذات الأغلبية المسيحية، كما نددت الحركة بالاعتداءات الصهيونية على أملاك

كنيسة الروم الأرثوذكس فى القدس الشريف.

على وجه التحقيق يمكن القول بأن العلاقة بين حماس والطوائف المسيحية، ظلت مصونة وبعيدة عن عوامل الشحن، والتوتر. على الجانب الآخر فإن ردود الفعل المسيحية قد اندرجت فى ذات السياق، ومن الإشارات الموحية فى هذا الصدد ما عبر به المطران لطفى اللحام - راعى كنيسة الروم الكاثوليك فى القدس - خلال اعتصام نظم أمام الكنيست احتجاجًا على إبعاد ٤١٣ فلسطينيًا معظمهم من حماس إلى جنوب لبنان: نحن كلنا فى خندق واحد، فإذا كان هؤلاء مبعدين فكلنا مبعدون، وإذا كان هؤلاء إرهابيين فنحن كلنا إرهابيون، وإذا كانوا أصوليين باستخدام ذلك المصطلح الذى يريدون به أن يذلوا الإسلام، والدين، والعقيدة، فكلنا أصوليون.

● **الطرح الاجتماعى لحماس:**

أولت حماس الإطار الاجتماعى اهتمامًا كبيرًا، ومنحته مساحة رحبة فى بنائها الفكرى، وفى عملها الحركى، فقد اعتبرت حماس المجتمع هو الأساس فى مشروع التحرير، ورأت أن الأهداف والوسائل التغييرية تكتسب فعاليتها، وديمومتها من انبعاثها من القاعدة الاجتماعية.

وقد توازى مع ذلك انكباب الحركة من أجل تفعيل القيم الإسلامية حتى تتحول إلى المرجعية الرئيسة فى السلوكيات الاجتماعية، صاغت حماس رؤاها للشأن المجتمعى استنادًا إلى استلهام الفكرة الإسلامية، واستنطاق الخبرة التاريخية فى الواقع

الإسلامى قديمًا وحديثًا، فكل الإنجازات التى حدثت فى الخبرة الإسلامية كان لدائرة الفعل الاجتماعى الدور الأبرز فى تحقيقها.

فقاعدة الإصلاح الصلبة، ونواة التغيير ترتبط بالحاضنة المجتمعية، ومدى استعدادها للنهوض بالمسئوليات، تأسيسًا على ذلك ربطت حماس كل تقدم يمكن إحرازه فى مسيرة القضية الفلسطينية بما يتم إحرازه من نجاحات على صعيد استنهاض الطاقات الاجتماعية.

فحماس ورغم اتساع قاعدتها المساندة فى الشارع الفلسطينى - تدرك أن الأساس فى التقدم صوب نيل الأهداف يرتبط، وبشكل رئيسى **بنضج الواقع الاجتماعى العام**، فأيًا ما كان دور القوى المقاومة، ومهما بلغ مستوى فعلها، فإنها بالأخير تستمد قوتها من الرصيد الاجتماعى، وليس بوسع فصيل بعينه، بل وليس فى وسع الفصائل بأسرها أن تملك لغو الادعاء بقدرتها منفردة على تحمل المسؤوليات الوطنية.

اتساقًا مع الرؤية السالفة رهنت حماس مستوى التقدم فى مشروع التحرير بما يمكن تحصيله من تقدم مطرد نحو إعادة ارتباط المجتمع بشكل محورى وفعال بأنموذجه الحضارى، ومرجعيته الإسلامية، واستنفار كل الطاقات، وتوظيف كل الشرائح حتى تسهم بدورها.

فمشروع التحرير يأتى على رأس مستلزماته وفى صدارة مقتضياته توفير بيئة اجتماعية، تتمثل قيم المشروع الجهادى، وتمده بأسباب البقاء، وتمنحه إمكانات الإنجاز.

لم يكن غريبًا وفق هذه التصورات أن تضع حماس فى مقدمة أولوياتها، وعلى رأس شواغلها مسألة التوعية الاجتماعية باعتبار المجتمع هو أداة التغيير الرئيسية، وهو أساس التطوير الحضارى، وفى ذات الوقت فإن المجتمع هو المستهدف ضمن أهداف المشروع الإسلامى، والمتمثلة بصياغة بناء المجتمع المسلم بروابطه المتينة، وخضوعه لتعاليم الإسلام فى سبيل تحويل الرؤى والتصورات حول الدور الاجتماعى إلى مناشط عملية، وحقائق ملموسة عملت حماس جاهدة من أجل تحقيق التوافق بين الأقوال والأفعال، فإذا كانت حماس قد دعت إلى تجسيد الفكرة التكافلية كمعلم إسلامى، وإذا كانت قد لفتت إلى أهمية توظيف كل الشرائح الاجتماعية، واستثمار كل الوسائل، فقد كان لزامًا عليها أن تحاول وضع ذلك فى حيز التنفيذ، ومن ثم تجدر متابعة قضايا مثل الجانب التكافلى، ودور المرأة، ووسائل العمل والتغيير الاجتماعى.



حماس والفكرة التكافلية

ذهبت حماس إلى أن الفكرة التكافلية وثيقة الصلة بالفكرة الإسلامية، فالنصوص الإسلامية الحاشدة التى تدعو إلى التعاضد والتساند، والتى تجعل من أبناء المجتمع جسدًا واحدًا تؤكد على محورية النهج التكافلى، ومركزيته فى التصور الإسلامى، ورأت حماس أن الوعى بهذه الفكرة، والسعى إلى تثبيتها تزداد أهميته فى ذلك الواقع الفلسطينى الذى يواجه احتلالاً يعمل على سحقه،

ومحو هويته، وخنقه اقتصاديًا حتى تلين عزيمته.

لم تكتف حماس بالدعوة إلى إحياء الفكرة التكافلية، فقد عمدت إلى البحث فى الصدى العملى لذلك التوجه، ومن ثم حاولت الحركة بحسب ما هو متوفر من إمكانات أن تساهم فى تخفيف العبء عن كاهل الشعب الفلسطينى، وقد حققت الحركة رصيدًا إيجابيًا متناميًا فى هذا الصدد، ذلك القول لم يعد يدخل فى إطار التسويق، أو التحليل فقد سبقت الإشارة إلى أن كل المتابعين والمراقبين لشؤون حماس بمن فيهم خصوم الحركة اعترفوا بالدور الاجتماعى الفاعل للحركة.

وقد ساهم ذلك فى امتلاك مشروع حماس النضالى روابط وثيقة بالمجتمع، وكان لهذه الصلة دور أساسى فى جعل الحركة جزءًا من جسد المجتمع، فحماس لم تفتأ تكرر أن المجتمع المسلم مجتمع متكافل، وأن هذه الروح هى التى يجب أن تسود، وقد دعت حماس عناصرها إلى أن ينظروا إلى مصالح الجماهير نظرتهم إلى مصالحهم الخاصة، وأن على عناصر حماس أن يشاركوا الناس فى أفراحهم وأتراحهم، وأن يتبنوا مطالب الجماهير.



حماس ورؤيتها للمرأة

لم تستثن حماس أيًا من الشرائح الاجتماعية من أجل المشاركة فى حمل أعباء مشروع التحرير، وإذا كانت الحركة قد أولت

اهتمامًا بالشباب، والأشبال، فقد أفردت للمرأة حيزًا كبيرًا من اهتمامها، فدور المرأة وفق ما ترى حماس لا يقل عن دور الرجل، وهذا القول ليس من قبيل الزخارف، ولا يندرج ضمن سياسة درء الشبهات، ودفع الاتهامات بتبنى مواقف سلبية متحيزة أو رؤى متحجرة ضد المرأة، فحماس التى تبنت الإسلام كمرجعية تدرك أن الإسلام، وبحسب قيمه وتعاليمه، لا يفرق بين المرأة والرجل، فكل التكليفات الشرعية تتوجه إلى المرأة والرجل معًا باستثناءات محدودة تراعى وضعية المرأة، وبعض خصوصياتها.

وقد عرفت الخبرة التاريخية المرأة المسلمة عنصرًا مشاركًا وفاعلاً فى كافة ميادين الحياة ونشاطاتها، وحتى الواجب الجهادى قامت المرأة بدورها فيه ولم تتخلف، وبالرغم من أن حماس لا تمانع مبدئيًا من انخراط المرأة فى العمل الجهادى إذا اقتضت الضرورة، وتهيأت السبل، إلا أن الحركة تذهب إلى تصور مفاده أن للمرأة دور أعظم فى مشروع التحرير، وهذا الدور تمتلكه المرأة حصريًا، ولا يمكن الاستعاضة عنه بأدوار أخرى، ولا يمكن لأحد غير المرأة أن يقوم به على النحو المطلوب.

فالمرأة المسلمة هى المحضن الأول، والقاعدة الارتكازية فى صناعة المجاهدين، وبحسب ما جاء فى أدبيات حماس، فإن المرأة: هى مصنع الرجال، ودورها فى توجيه الأجيال عظيم الأثر، وتلفت حماس إلى أن الأعداء يدركون ذلك، ويعرفون أهمية دور المرأة المسلمة فى مشروع الجهاد، ومن ثم فإن مخططاتهم تركزت على محاولات

ترويض المرأة المسلمة، وتوجيهها بعيدًا عن الفكرة الإسلامية.

فالمرأة فى البيت أمًا كانت، أو أختًا لها الدور الأهم فى رعاية البيت، وتنشئة الأطفال على المفاهيم والقيم الأخلاقية المستمدة من الإسلام، وتربية أبنائها على تأدية الفرائض الدينية استعدادًا للدور الجهادى الذى ينتظرهم.

اعتنت حماس بالنشاط النسائى حتى إن أول هيكل حركى، والذى تجسد فى المجمع الإسلامى حاز النشاط النسائى على دور من خلاله، وقد أثبتت أحداث الانتفاضة صوابية تصور حماس، فقد تحولت الأم الفلسطينية إلى فاعل أساسى فى تحريك المشروع الجهادى، ودفعه قدمًا نحو الأمام.

فالمرأة الفلسطينية التى دأبت على تحفيز ابنها على التضحية، والاستشهاد أعادت إلى الحياة سيرة المسلمات الأوليات اللائى تذخر بهن كتب التاريخ، وبصنيع المرأة الفلسطينية لم تعد خديجة (رضى الله عنها) وأسماء، ونسيبة، والخنساء، مجرد نماذج تاريخية للتسرى والسلوى، بل تحولت سيرتهن إلى واقع معيش.

لم يكن دور هذه المرأة الشامخة بأقل أثرًا، بل جاء فى طليعة أسباب الثبات، ومحفزات الصمود، وهى تصحب ابنها قبل دقائق أو ساعات من ذهابه للقاء العدو، ثم تتلقى نبأ استشهاده بصبر وسرور.

وقد حرق ذلك قلوب الحاقدين وأغاظهم، فراحوا يتهمون المرأة

الفلسطينية بقسوة القلب، حيث تدفع ابنها إلى الموت، وتتلقى خبر مصرعه بصيحات الفرح، وما من شك فى أن هؤلاء لا يعرفون ماذا تعنى الشهادة، ومقدار السرور الذى يدخل إلى كل عائلة يحوز أحد أبنائها شرف الاستشهاد.

والشاهد أن المرأة الفلسطينية أعطت النموذج، وحققت القدوة التى صارت مثلاً يحتذى، فمن العسير أن تنسى الذاكرة كلمات أم الشهيد محمد فرحات ابن السبعة عشر ربيعًا، والذى أدمى الصهاينة فى مغتصبة عتصمونا، قبل أن يقضى شهيدا، كانت كلماتها تقطر غيرة على الإسلام، وتدل على وعى وفقه قلما أدركه الكثيرون.

وهل يمكن إلا أن تقف كل امرأة وفتاة منبهرة أمام نموذج «ريم الرياشي» الفذ.. نموذج أم الطفلين الصغيرين التي آثرت عقيدتها على أمومتها.. وعزة مسجدها على مشاعرها الفطرية، فاختارت شرف المشاركة في تحرير الأرض والعرض وصياغة مستقبل عزيز لطفليها مؤمنة بأنه لا معنى لحياة تقليدية.. وممارسة روتينية لأدوار الأمومة في وطن مغتصب.. إنها أول أم استشهادية.. وواحدة من قليلات اهتدين إلى المعنى الحقيقي للأمومة.

ومن أسف أن من تسابق إلىَ تلك المرأة المجاهدة وغيرها قنوات التلفزة، ووسائل الإعلام الغربية، وبعض الوسائل غير المحسوبة على الفكرة الإسلامية، فأين الإسلاميون من إشاعة هذا النموذج ونشره كنموذج للتربية؟

وسائل التغيير الاجتماعى

لم يقتصر تصور حماس وعملها على العنصر البشرى فى قضية التغيير الاجتماعى، فللأوعية والهياكل دورها باعتبارها المبانى التى تحتوى الأفكار والمعانى، ورغم تعدد وسائل التغيير الاجتماعى، وتنوع أشكالها، فإننا سنكتفى بالحديث عن وسيلتين أو ميدانين، استطاعت حماس أن تعيد الاعتبار لدور الأول، وتعيده إلى سابق عهده: المسجد، وتمكنت من خلال طرحها وعلمها أن تؤسس لرؤية إسلامية جادة، ومعاصرة حول الثانى: الفن.

● المسجد:

استجابت حماس للنداء القرآنى، وأفادت من التجربة التاريخية التى برهنت على أن المسجد كان دومًا بؤرة الإقلاع الحضارى، وموئل وملاذ المسلمين لإدارة شؤونهم، وترتيب أمورهم، وقد أصابت المجتمعات الإسلامية المعاصرة أضرارًا فادحة جراء تفريطها فى دور المسجد، وعدم وعيهم بأهمية دوره، ونتيجة لتأميم دوره فى كثير من الأحيان تحت ضغط مواقف مغلوطة، وتصورات واهية، انطلقت حماس فى عملها من المسجد الذى لعب دورًا مفصليًا، واحتل دور الفضاء الحيوى للحركة، ومثلما نهض المسجد برسالة الإسلام فى طابعها الشمولى فى عصر الألق الحضارى عملت حماس على تفعيل جل نشاطاتها وفعالياتها من باحة المسجد، فقد تحول المسجد إلى ميدان للوعظ والإرشاد، ومجالاً للتعبئة الجهادية،

وحيزًا للتوعية والتعليم، ومنارة للتكافل بين أبناء المجتمع.

وقد اتسع مجال العطاء بحيث صارت المساجد:

١ - ساحة للتعبئة الجهادية، والحث على المقاومة من خلال الدروس، والخطب، والاحتفال بالمناسبات الإسلامية، والصلاة على الجنائز - جنائز الشهداء.

٢ - ساحة لانطلاق المظاهرات والمسيرات.

٣ - وسيلة لمقاومة سياسات الاحتلال فى التجهيل، وذلك عبر عقد الدروس والمحاضرات والدورات المجانية فى المساجد.

٤ - مكانًا لبث الألفة، والمحبة، والتكافل الاجتماعى بين أبناء الشعب الفلسطينى.

٥ - مكانًا لتوزيع المساعدات، خاصة فى أيام حظر التجول، وإغلاق سلطات الاحتلال للضفة والقطاع.

● الفـــــن:

قد يدهش البعض لتطرق الحركة إلى تناول تلك القضية، ومبعث ذلك الاندهاش التصورات غير الصحيحة عن موقع الفن فى الرؤية الإسلامية، واعتقاد البعض أن الإسلام يتصادم، وعلى نحو مطلق، مع الفن وقضاياه، وربما يضيف البعض استغرابًا آخر باعتبار أن الحركات المجاهدة لا ينبغى لها أن تنشغل بتلك الوسائط والأدوات ذات الطابع الترفى.

فى موقفها من الفن تثبت حماس أنها حركة مجاهدة ومجددة، وأن فهمها للإسلام والتزامها بمرجعيته لا تعنى تخشبها وتعنتها،

فقد **تناولت الحركة قضية الفن فى إطار من التوازن**، حيث أكدت الحركة أن الفن الجاد يضاف إلى وسائل التغيير الاجتماعى، والفكرة الإسلامية فى جوهرها الرسالى تنتظم جميع مناحى الحياة، وهى لا تصادر على الفن بإطلاق، ولا تعارض كل الأشكال الفنية بكافة تضميناتها.

من هذا المنطلق نظرت حماس إلى الفن الجاد نظرة ملؤها التقدير، ولم تتناوله بالزراية والسخرية، ولم تحقر من شأنه كما يفعل بعض المنتسبين للفكرة الإسلامية، دعت حماس إلى اعتبار الفن إحدى الوسائل الواجب استيعابها ضمن حاجيات المشروع المقاوم، وقد كانت حماس واضحة فى تحديدها للفن الجاد، والذى ميزته عن الفن الجاهلى، لافتة إلى أن قضايا التحرير الإسلامى بحاجة إلى الفن الإسلامى الذى يسمو بالروح، ولا يغلب جانبًا فى الإنسان على جانب آخر، ولكن يسمو بجميع الجوانب فى توازن وانسجام، فالإنسان تكوين عجيب غريب من قبضة الطين، ونفخة الروح، والفن الإسلامى يخاطب الإنسان على هذا الأساس، والفن الجاهلى يخاطب الجسد، ويغلب جانب الطين.

فالكتاب، والمقالة، والنشرة، والموعظة، والزجل، والقصيدة، والمسرحية، وغير ذلك إذا توفرت فيه خصائص النقد الإسلامى، فهو من لوازم التعبئة الفكرية، والغذاء المتجدد لمواصلة المسيرة، والترويح عن النفس، فالطريق طويل، والعناء كثير، والنفوس تمل، والفن الإسلامى يجدد النشاط، ويبعث الحركة.

وقد عملت حماس على تفعيل الأدوات الفنية الملائمة، وتوظيفها فى صالح مشروع المقاومة بجانب نشر مبادئ الحركة، وقد استخلص من تابع فعاليات الحركة فى هذا المجال دلالة مؤداها أن تلك التجربة فى هذا المضمار، وضعتها فى نطاق حركات التغيير والإصلاح التى استخدمت الفنون، ووظفتها لخدمة أهدافها، ونشر أيديولوجيتها، حيث حملت أشرطة الفيديو، والمهرجانات الفنية خطابًا تعبويًا ثبت جملة من القيم الإسلامية، فوقفت الأهزوجة الوطنية إلى جانب المظاهرة والاعتصام لتتجذر فى وسائل حماس، وتندرج فى مكونات السياق العام للصراع مع العدو الصهيونى.

رؤية حماس للفضاءين الإقليمى والدولى

ثمة ترابط فى الذهنية الإدراكية لحماس بين الواقع الإقليمى، وامتداده الدولى، ذلك الارتباط يأخذ منطقيته من خلفيات تأسيس العدو الصهيونى لكيانه، فقد وقف خلف هذا التأسيس المشروع السياسى لنخب الحكم الغربية، تلك النخب التى رأت ومازالت ترى فى العدو الصهيونى امتدادًا عضويًا يخدم مصالحها، وثمة من يعتقد فوق ذلك أن تأسيس هذا الكيان ينبع من الإيمان الدينى بتعاليم المسيحية. من الصعب توهم فك الارتباط بين العدو الصهيونى والمشروع الغربى، وإذا كانت الحقائق التاريخية قد أكدت ذلك، فإن الكثير من ساسة الغرب، وخاصة ساسة أمريكا يرددون بصوت جهير دعمهم المطلق للعدو الصهيونى، وعملهم من أجل

تثبيت تفوقه وهيمنته، وبالبداهة فإن ذلك ينطوى على إضعاف العرب والمسلمين، وإعاقة مشروعهم التوحيدى النهضوى.

ما تطرحه حماس صادقت عليه الشواهد المحسوسة، فقد أضيرت القضية الفلسطينية، وأضير الواقع العربى والإسلامى بصفة عامة بسبب اعتماد المداخل القطرية الانغلاقية التى تتخفى وراء المصلحة القطرية من أجل تبرير التقاعس والعجز، كما أن المداخل الجهوية المتعصبة، والتى استمدت زخمها من شعاراتها بتحرير فلسطين آلت إلى الإفلاس والانسحاب من ساحة الصراع.

دعت حماس إلى إعادة الاعتبار إلى إسلامية القضية الفلسطينية، تلك الإسلامية التى تتلاقى مع العروبة غير المتلبسة بمشاريع سياسية فاشلة وفاسدة، وقد ذهبت حماس إلى أن ذلك النهج حتمى سواء أراد العرب والمسلمون ذلك أو أبوا، فالمشروع السياسى الغربى ذات التكوين الاستعمارى ينظر إلى العرب والمسلمين بهذه الكيفية، ويربط صلتهم بالقضية الفلسطينية على ذات النحو.

لقد دفع البعض بأن رفع شعار «أسلمة» القضية الفلسطينية، وإدخال البعد العقدى فى الصراع من شأنه أن يوتر الأجواء، وأن يزيد من التفاف الغرب حول «إسرائيل»، وقد تناسى هؤلاء أن ارتباط المشروع، وهو ارتباط نخب حاكمة بالأساس لا يمكن أن يتبدل بإخفاء المكون العقدى، كما أن ذلك النهج حرم القضية الفلسطينية من البعد الإسلامى بإمكاناته الكبيرة.

وإذا كان العدو الصهيونى يجاهر عن ادعاء بارتباطه العقدى

التوراتى بالأرض الفلسطينية، فلماذا يتخلى المسلمون عن حقهم الأصيل فى الدفاع عن أرضهم ومقدساتهم؟

ثمة من أسهب فى ترديد مقولة إن العدو الصهيونى يستريح كثيرًا لإبراز البعد العقدى فى الصراع، وإنه يستفيد من ذلك أيما استفادة، والحقيقة أن أركان العدو الصهيونى يزعجهم كثيرًا، وعلينا فى هذا الصدد أن نستذكر مقولة إسحاق رابين، والذى وجه كلامه إلى «الإسرائيليين» قائلاً: سنرتكب أكبر خطأ إذا وضعنا الصراع فى السياق الدينى.

وفق التصور السالف نظرت حماس إلى تشابك الروابط وتعقدها بين الواقع الفلسطينى، وعمقه العربى الإسلامى، وبين الفضاء الدولى، ولم تقف حماس طويلاً فى السجال حول أيهما له الأولوية فى الحركة، البدء بمقارعة الاحتلال: الفلسطينيون أم العرب والمسلمون؟ فأدبيات حماس تقول: إن هدف تحرير فلسطين مسؤولية تضامنية، فعلى الفلسطينيين ألا يستكينوا، وينتظروا الدور العربى والإسلامى فى ثوبه التحريرى، فأهل فلسطين هم المكلفون شرعًا، وفى إطار عينى، بالدفاع عن أرضهم، كما أن العرب والمسلمين عليهم واجب الدعم والإسناد، فالقول بأن مسؤولية تحرير فلسطين تختص بالفلسطينيين وحدهم، يعنى إعفاء العرب والمسلمين من مسؤولياتهم، والقول بأن التحرير لن يتم إلا عن طريق العرب والمسلمين قد يدفع الفلسطينيين إلى القعود والانتظار.

من هذا المنطلق نظرت حماس إلى ماهية دورها بالأساس، حيث اعتبرت الحركة أن الإسلاميين فى فلسطين وفق رؤيتهم لطبيعة

الصراع عرفوا طبيعة وجودهم، ومعناه، ووظيفته، وأهدافه بشكل يخدم جبهة الجهاد ضد المشروع الاستعماري برمته، فاعتبروا أنفسهم ومن يعملون معهم وفق ذلك التصور - كالسرية المجاهدة المتقدمة التى تعمل على تحطيم الجسم الاستعمارى العالمى من خلال ضرب مقدمته وقاعدته فى المنطقة المتمثلة فى الكيان الصهيونى، بينما يناصرهم فى الخارج الجسد الجهادى المتكامل المتمثل فى الأمة كلها.

فحماس ترى أن مسؤولية تحرير فلسطين تتوزع مهامها بين دوائر ثلاث: الدائرة الفلسطينية، الدائرة العربية، الدائرة الإسلامية، وكل دائرة من هذه الدوائر الثلاث لها دورها فى الصراع مع الصهيونية، وعليها واجبات، وتبعًا لذلك تذهب حماس إلى أن جبهة القتال مع العدو يدافع عنها أهلها، فإن لم يكفوا، فالذين يلونهم من المسلمين، فإن لم يكفوا فالذين يلونهم، وهكذا حتى يصبح واجب تحرير فلسطين فرض عين على كل المسلمين، وهكذا فإن حماس تدعو إلى تفعيل الدوائر الثلاث ملتزمة بمبدأ ثابت لدى الحركة، وهو عدم التدخل فى الشؤون الداخلية.

على صعيد الفضاء الدولى تنطلق حماس فى صياغة رؤيتها من أن المنظمات الدولية الأممية فشلت منذ بدايات الصراع فى إنصاف الفلسطينيين، وعجزت عن إلزام العدو الصهيونى للانصياع حتى فى مستوى الحدود الدنيا من حقوق للشعب الفلسطينى. ورغم أن العالم ليس كله كتلة واحدة، ومع دعوة حماس للاستفادة من الأطراف الفاعلة فى الواقع الدولى، إلا أنها تؤكد على حقيقة أن كل

ذلك لابد وأن يتفرع من العامل الأساسى المتمثل فى أن انتزاع الحقوق الفلسطينية يجب أن تتأسس استراتيجيته على ضوء القدرات الذاتية بالأساس.

على مستوى المشروع الغربى تؤكد حماس مسؤولية الغرب التاريخية فى ذلك الذى حاق بالفلسطينيين، فالغرب وفق ما ترى حماس قام وبشكل مخطط - بزرع العدو الصهيونى فى المنطقة حتى يعرقل كل مشاريع الاندماج والاستنهاض، ومن أجل استنزاف ثروات الأمة عبر إدخالها فى دوامة شراء الأسلحة، وتكديسها بحثاً عن تحقيق التوازن الموهوم، وكنتيجة لهذه المؤامرة الدنيئة ذهب الشعب الفلسطينى ضحية العقلية الغربية الاستعمارية التى لا تفكر إلا فى مصالحها وأطماعها.

هذه الأطروحة من قبل حماس تدفع البعض إلى إساءة الفهم لاعتقادهم أن حماس لا ترى أى أفق لإدارة العلاقات مع الغرب - كل الغرب - إلا على قاعدة التصارع المتواصل، وهى بذلك تفتح الأبواب على مقولات التحجر، حيث يتم مناصبة الحضارة الغربية بأسرها العداء، وتسد السبل أمام إمكانات التواصل معها، والاستفادة من إنجازاتها.

تسارع أدبيات حماس إلى إزالة سوء الفهم، مؤكدة أن الحركة لا تدعو إلى الصراع كأساس حتمى، وخيار قدرى، كما أن الحركة لا تقف أمام أجواء الانفتاح والتلاقح الحضارى الخلاق، فحماس تتمنى أن يسود السلام العالم بعيداً عن الحروب وسفك الدماء، وتنادى بالانفتاح على الحضارات الأخرى، فالفكر الإسلامى كما

تعتقد حماس يؤمن بالتعددية الحضارية، وتراكم التجارب الإنسانية، ويدعو للتفاعل معها منحًا وعطاءً.

وحتى لا تختلط الأوراق، فإن الحركة قد دشنت مجموعة من الثوابت تحكم رؤيتها للغرب منها:

١ - أن المعركة ليست مع الغرب ومسيحييه، فالصراع مع العدو الصهيونى الذى احتل الأرض.

٢ - تُحَمِّل حماس الغرب المسؤولية الأخلاقية لقيام الحركة الصهيونية واحتلالها لفلسطين.

٣ - أن حماس ترى فى نظرة الغرب لها، وخاصة الولايات المتحدة انسجامًا مع التحريض الصهيونى، ومقولات «التطرف» و«الأصولية» و«الإرهاب» أكثر من انسجامها مع مبادئ الغرب المعلنة حول الديموقراطية وحقوق الإنسان.

٤ - تجزم حماس بأن وصفها بالإرهاب هو وصف غربى، وأنها ضد الإرهاب بمفهومه الصحيح، فالغرب يتجنى على حماس حين يصفها بالإرهاب؛ إذ إنها لا تقوم بعمليات عسكرية خارجية، ولا تهدد المصالح الغربية، بل لم تهدد المصالح اليهودية فى العالم فنضالها منحصر داخل فلسطين.

●●●

المحور الثالث



الإطـار التنظيمـي

نجحت حركة حماس فى تسجيل نجاحات نوعية على المستوى التنظيمى، ويمكن قياس تلك النجاحات من خلال عدة مؤشرات:

١ - لم تعرف حماس ظاهرة التصدعات، والانشطارات التنظيمية، وظاهرة التصدع قلما أفلتت من شراكها حركة سياسية فلسطينية.

فنظرًا للواقع السياسى الضاغط، وتعقيدات المشهد الفلسطينى عرفت جل الحركات السياسية الفلسطينية ظاهرة التفتت، وهو ما جعل الحركة الواحدة تنفلق إلى حركتين أو أكثر، وبحيث تأخذ كل حركة الاسم الأساسى، وتضيف إليه ما تعتبره تميزًا لها، وعنوانًا لمفارقتها.

وتزداد خطورة هذه الظاهرة، وتتصاعد احتماليتها فى ظل الحركات السياسية ذات العمق الاجتماعى، والتى تتميز بكثافة الانتماء الحركى لديها، واتساع امتدادها الجغرافى.

فى مثل هذه الحالات تدفع الحاجة إلى اتخاذ قرارات حاسمة لمواجهة التحولات والمستجدات إلى بروز النتوءات، وبزوغ القابلية للشقاق، وفى كثير من الحالات لا تسعف آليات الضبط التنظيمى

فى توفير الاستقرار استطاعت حماس رغم ما تتوفر عليه من كثافة فى الانتماء الحركى، ومن امتداد فى الحيز الجغرافى أن تحافظ على بنيتها الحركية، وقد حاول البعض أحياناً أن يلعب على وتر الداخل والخارج للإيحاء بأن قيادات الحركة خارج فلسطين ينطلقون فى رؤيتهم، وخاصة تلك المرتبطة باستمرار العمليات بوضعهم المريح فى الخارج.

لم تنجح هذه المحاولات فى إحداث تناقضات أساسية داخل أروقة الحركة، فقد خرجت حماس من كل المحكات بما يعزز مقدرتها، ويثبت فاعليتها فى احتواء كل الآراء، واتخاذ قراراتها بسهولة ويسر بما يصون وحدة الحركة واستقرارها.

٢ - حققت حماس نجاعة كبيرة فى مجال التعافى السريع من الضربات الصهيونية، مما يؤشر إلى المرونة الكبيرة والفاعلية المتنامية للأطر التنظيمية للحركة.

يزداد تقدير أهمية ذلك الأمر فى ضوء حجم الضربات التى تلقتها الحركة منذ إنشائها، والتى جعلتها تقف على رأس الحركة التى عمل العدو الصهيونى، وبغطاء أمريكى على استهدافها، فمنذ البدايات، ونظرًا للأداء المتطور للحركة سارع العدو الصهيونى إلى توجيه ضرباته النوعية للحركة.

وكان أبرزها تلك الحملة التى جرت فى أواخر عام ١٩٩٠، وبدايات عام ١٩٩١، حيث تم اعتقال ما يزيد على ١٧٠٠ ناشط من حماس، إلا أن الحركة واصلت عملها، ولم يتراجع زخمها، وقد تجلى ذلك فى فعاليات الحركة الحاشدة.

أعقب تلك الضربة تنامى قدرات الجهاز العسكرى للحركة، وظهرت على السطح العمليات النوعية لكتائب القسام، والتى قام على إثرها العدو الصهيونى بإبعاد ٤١٥ فلسطينيًا معظمهم من حماس إلى مرج الزهور بجنوب لبنان، وعلى الرغم من أن الإبعاد شمل عددًا كبيرًا من قيادات الصف الأول والثانى للحركة، إلا أن نشاط الحركة وفعاليتها لم يوقفا.

فى انتفاضة الأقصى وصلت المواجهة بين حماس والعدو الصهيونى إلى الذروة، وبلغت فى بعض الأحيان مستوى الصراع المفتوح، فقد أزعجت عمليات حماس العدو الصهيونى، وأزمت موقف النخبة الحاكمة، مما حدا بهذه الأخيرة إلى استهداف جميع قيادات وكوادر حماس، وفى مقدمتها الكادر السياسى الأعلى، وقد استشهد فى تلك المواجهات المهندس إسماعيل أبو شنب، والدكتور إبراهيم المقادمة، والشيخ صلاح شحادة، والشيخ جمال سليم، والشيخ جمال منصور، وأخيرًا الشهيد أحمد ياسين - مؤسس الحركة، كما جرت محاولات اغتيال الدكتور عبد العزيز الرنتيسى، والدكتور محمود الزهار، وقد نجاهم الله.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقد تسارعت حملات الاعتقال، بحيث زاد عدد الأسرى المنتمين لحماس على ٤٠٠٠ أسير، هذا المستوى من الاستهداف كان كفيلاً بالحد من قدرة الحركة، وإنهاكها لو كانت حماس فى عداد الحركات الطارئة والقشرية، غير أن ما حافظ للحركة على استمراريتها وفعاليتها سعة الدعم الجماهيرى، وقوة بنيتها التنظيمية، الأمر الذى مكنها

من امتلاك القدرة على إعادة ضبط الأمور، وترتيب الصفوف، وترميم الهياكل فى مدة وجيزة نسبيًا.

٣ - أحاطت حماس آليات اتخاذ القرار لديها، وطرائق تكوين وعمل الهياكل الحركية والبنى التنظيمية بسياج من السرية، فقد اعتبرت الحركة أن ذلك الكتمان أحد المقتضيات الأساسية لإدارة الصراع مع العدو الصهيونى.

ومما يحسب للحركة فى هذا الصدد نجاحها فى الاحتفاظ بأوراقها وعدم انكشافها إلى الحد الذى لا يمكن معه أن يدعى أحد معرفته بنمطية اتخاذ القرار داخل الحركة، وطبيعة تكويناتها الحركية.

وهذه المساحة ليست مجهولة للمتابعين فقط، فحتى أجهزة الاستخبارات الصهيونية فشلت فى اختراق ذلك البناء، صحيح أن هناك هياكل مفترضة، غير أن هذه الهياكل لا تمكن من تفسير العديد من الظواهر والملاحظات على سلوك الحركة، وربما كان ذلك من أسباب امتلاك الحركة المستمر لخيارات مفتوحة فى التعامل مع الظروف المتغيرة سياسيًا وأمنيًا.

شكلت الشورى ومحوريتها فى إدارة شؤون الحركة العامل الأساسى فى صون بنيتها، واكتسابها الجاهزية، وقد أوضح الشيخ الشهيد أحمد ياسين مركزية الشورى فى عمل الحركة، وحدد مجالات السرية والعلنية، وفى هذا يقول الشيخ: إننى أعمل الشورى والنظام الصحيح التعاونى، والدليل على ذلك أنه لا يوجد بيننا أى انشقاقات رغم تعدد أماكننا، والشورى من المشاورة، عندما

يكون القرار كبيرًا سيغير، ويؤثر فى سياسات الحركة، فإننا نحتاج إلى التشاور مع عدد كبير، أما عندما يكون القرار بسيطًا وجزئيًا يكفى مشاورة عدد قليل، إن أى خيار استراتيجى يحتاج إلى جمع عدد كبير من أجل أن يقولوا رأيهم فى الموضوع.

أما فى الأمور العادية فإننى أكتفى بوجود القيادة العادية، خمسة أو ستة، فقرار استراتيجى مثل وقف العمليات لا يمكن أن يؤخذ فى غزة، أو الضفة، أو الخارج، يجب أن يتم التشاور فى جميع المواقع، هذه استراتيجية، لا توجد لدى حماس فردية.

إن حركة حماس حركة مجاهدة علنية وسرية، ما هو مفهوم للناس فهو علنى، وما هو غير مفهوم للناس فهو سرى، وحركة مجاهدة لا يمكن أن تكشف للناس كل أوراقها، وكل ما عندها، ليس عندى استعداد أن أقول ما هو نظامى الداخلى، لكننى أعمل بالشورى والنظام الصحيح التعاونى، نحن حركة جهادية لها أعداء يتربصون بها، لا يمكن أن تكشف أوراقها لهؤلاء الأعداء، نكشف جزءًا منها، ونخبئ الباقى.

حركة حماس والعمل العسكرى

نقل العمل العسكرى الحالة الفلسطينية إلى مرحلة متطورة فى صراعها المحتدم مع العدو الصهيونى، فقد ظل العدو الصهيونى يراهن على محدودية القدرة الفلسطينية فى مقارعته، وساد الوهم لدى ذلك العدو بأن الخطر إذا أتى فلن يأتى إلا من الخارج، باعتبار

أن الحالة الفلسطينية تحت السيطرة، وأن ما بيدى الفلسطينيين من إمكانات لا يسمح لهم بابتداع أو تفعيل أية أدوات صراعية من شأنها أن تؤثر سلبًا على الحالة الصهيونية.

منذ انطلاق انتفاضة الحجارة فى عام ١٩٨٧، والعمل العسكرى آخذ فى التصاعد، سواء أكان ذلك فى مستوياته الكمية، أو على صعيد نقلاته النوعية، وقد عكس التطور فى مستوى الأداء العسكرى لقوى المقاومة أثره فى ما أحدثه من تداعيات سلبية متفاقمة على بنيان العدو الصهيونى، وقد وصل ذلك إلى حد إثارة التساؤلات حول المصير، وأسباب البقاء.

فقد أدى العمل العسكرى إلى إصابة المشروع الصهيونى فى مفاصله الأساسية، فالهجرة عوضًا عن أن تتزايد تناقصت بشكل حاد، وبرزت فى مقابل ذلك ظاهرة مقلقة للعدو تمثلت فى الهجرة المعاكسة، والوعود بمجتمع الأمن والرفاه تبخرت بفعل النكسات التى أصيب بها الاقتصاد الصهيونى، والأمن الفردى والجماعى تلاشى مع قدرة المقاومة الفلسطينية على النفاذ إلى العمق، والوصول إلى التجمعات الصهيونية فى أى بقعة من فلسطين التاريخية.

بالنسبة لحركة حماس يمكن القول بأن عملها العسكرى شهد طفرات ونقلات جذرية، فكثير من حقائق اليوم كانت بالأمس تمنيات، فقد تمنى الكثيرون فى إرهاصات الانتفاضة الأولى أن تأتى بشائرها على يد أبناء حركة حماس، ومن الكلمات المعبرة فى ذلك الصدد ما قاله الشهيد د. عبد الله عزام الذى يكتب وهو يقود خواتيم العمل الجهادى فى أفغانستان، ويتابع عن كثب فواتيح عهد

حماس: نحن نرقب ذلك اليوم الذى يتحول فيه الحجر بأيدى حماس إلى رصاص، ويتبدل الحجر، وتحل القنبلة والبندقية، وهذا سهل بأمر الله إذا وجد الشباب الذين ينتزعون سلاحهم من أيدى أعدائهم ويقاتلونهم، ونرقب ذلك اليوم الذى تهتز الأرض فيه تحت أقدام اليهود، وتزيغ أبصارهم.

وقد حقق الله تمنيات الشيخ، وزلزل مجاهدو حماس الأرض تحت أقدام الصهاينة.

لا تسمح هذه المساحة للوفاء بمطالب الإحاطة الشاملة بالعمل العسكرى لحركة حماس، وتحليله بشكل تفصيلى، إلا أننا وعلى قاعدة أن ما لا يدرك كله يجب ألا يترك كله، سنحاول الاقتراب من النقاط المحورية فى العمل العسكرى من خلال تناول ثلاث قضايا أساسية هى:

- تاريخية العمل المسلح لدى حماس وتطوراته.
- النقلات النوعية فى عمليات حماس.
- شبهات حول العمل العسكرى.

تاريخية العمل المسلح لدى حماس وتطوراته

يحاول البعض الترويج لدعوى مفادها أن العمل العسكرى لدى حركة حماس جاء لاحقًا فى مبعثه وأصل نشأته على اندلاع انتفاضة الحجارة فى عام ١٩٨٧، ورغم أن ذلك لا يشين الحركة فى شىء، ولا

يسلبها حقيقة دورها، إلا أن ثمة مغاز خفية تنطوى عليها تلك الدعوى.

فهذه الدعوة تطرح فرضية أن حماس، وبالأحرى الحركة الإسلامية، لازمها التلكؤ، ولم تنخرط فى فعاليات الانتفاضة ومشروع المقاومة، إلا عندما حاصرها ضغط الأحداث، ووجدت نفسها تواجه نذر التململ التى أخذت تجد طريقها إلى قواعد الحركة التى راحت وفق هذه الدعوى تعلن تذمرها، وتبدى استغرابها لتقاعس الحركة عن الانتقال بالجهاد من الحيز النظرى إلى إطار التطبيق وميدان العمل.

ذلك الادعاء تدحضه الشواهد التى لا تقبل الجدل، فحماس لم تتباطأ فى خوض غمار العمل الجهادى، فقصارى ما كانت ترومه الحركة هو أن تتوفر الشروط والمستلزمات، وأخذ الوقت الملائم للإعداد والتهيئة حتى لا ينطلق مشروع المقاومة على قاعدة رخوة يسهل كسرها، وبما يضمن ألا يتحول العمل الجهادى إلى فورة عاطفية، واندفاعة غير محسوبة سرعان ما تخفت تاركة من الآثار السلبية، والإحباطات ما لا يحمد وقعه على الساحة الفلسطينية.

لقد انطلقت حماس من رؤيتها القائلة بضرورة توفير الأسباب التى تمكن من إقلاع قوى وثابت يجعل العمل الجهادى أصلب عوداً، وأشد مراساً، بحيث يغدو عصياً على المحاصرة والاقتلاع.

ومهمة بهذا المستوى تحتاج إلى جهود مضنية، وتستلزم مساحة زمنية مناسبة، إذ إن العجلة فى الأحكام والتسرع فى القرارات فى مثل هذه القضايا من شأنه أن يفضى إلى ترسبات سلبية لا يقدّر البعض مدى خطورتها.

تصاعدت وتائر الإعداد للعمل العسكرى من قبل حماس قبل اندلاع الانتفاضة الكبرى، وقد بدأت تلك الخطة الإعدادية بأولى الاستهلالات التى تمت على يد **الشيخ الشهيد أحمد ياسين** الذى أدرك بثاقب بصيرته أن المواجهة والالتحام مع العدو الصهيونى قد اقترب وقته.

دفع ذلك الاستشراف الشيخ (رحمه الله) إلى استفراغ الوسع من أجل تجهيز أدوات العمل المسلح - فى إطار الممكن وحسب القدرة - ومن ثم سعى القائد المؤسس إلى شرائها وتخزينها، وقد استغرقت هذه العملية قرابة الثلاث سنوات، فى غضون ذلك أقدمت قوات الاحتلال الصهيونى على اعتقال الشيخ الشهيد أحمد ياسين، وبعض مساعديه فى أبريل ١٩٨٤، وقد حكم عليه بالسجن لمدة ١٣ عامًا أمضى منها ١١ شهرًا، ثم خرج ضمن صفقة لتبادل الأسرى قامت بها الجبهة الشعبية مع دولة الاحتلال وقتذاك.

وبعد خروجه من السجون الصهيونية لم يتوان **الشيخ أحمد ياسين** عن الاسترسال فى أمر الإعداد، فقد تابع خطواته من أجل توفير بنية قوية للعمل العسكرى، وقد شرع فى تكوين جهاز أطلق عليه اسم **«مجد»**، وقد اصطبغ ذلك الجهاز بالطابع الأمنى. وعندما بدأت أحداث الانتفاضة فى أواخر عام ١٩٨٧، وتأسست حركة حماس.. كان جهاز **«مجد»** مؤهلاً للنهوض بمسؤولياته الأمنية والجهادية.

فطن مؤسس حماس من واقع خبرته لضرورة الفصل بين العمل

العسكرى، الذى يشكل الخطر الأكبر على العدو الصهيونى، وبين أى أطر تنظيمية أخرى، وتبعًا لذلك قام الشيخ الشهيد أحمد ياسين بتشكيل جهازى عسكرى بموازاة جهاز مجد الأمني، وأوكلت مهمة قيادة ذلك الجهاز إلى الشيخ الشهيد صلاح شحادة، وقد أطلق على ذلك الجهاز اسم **«المجاهدون الفلسطينيون»**

عمل **الشيخ الشهيد صلاح شحادة** على تطوير الجهاز العسكرى، وقد تجلى ذلك فى نجاح عناصر الجهاز فى تنفيذ عمليات ضد القوات الصهيونية، الأمر الذى أثار حفيظة قيادات العدو الصهيونى، والذين قرروا بدورهم توجيه ضربة لحماس، ومن ثم أقدم جهاز الأمن الصهيونى على اعتقال عدد من قياديى حماس من بينهم الشيخ الشهيد صلاح شحادة.

رغم الضربة الصهيونية قام **الشيخ الشهيد أحمد ياسين** بمباشرة مهام إعادة بناء أجهزة الحركة، وخاصة جهازها العسكرى، وقد ترتب على ذلك استعادة التنظيم لعافيته، وهو ما انعكس فى الواقع العملى، حيث نجح الجهاز العسكرى فى تنفيذ عملية خطف وقتل لجنديين صهيونيين، وقد اعتبرت العمليتان من أشد وأخطر العمليات ضد قوات الاحتلال.

مع تصاعد نشاط الجهاز العسكرى والتطور النوعى فى عملياته قام العدو الصهيونى بتوجيه ضربة شاملة طالت كل أجهزة الحركة، وفى طليعتها الجهاز العسكرى، وقد قامت قوات العدو الصهيونى باعتقال **الشيخ الشهيد أحمد ياسين** وعدد كبير من قيادات حماس.

كانت تلك الضربة من أشد الضربات، حيث طالت مراكز العصب فى الحركة، إلا أن الحركة أخذت فى التعافى رويدًا رويدًا، وفى عام ١٩٩١ استطاع مجاهدوا الحركة إعادة ترتيب الأوضاع، وقد توجت هذه العملية بتشكيل جهاز عسكرى جديد لعب كل من **بشير حماد، وعماد عقل** الدور الأبرز فى تكوينه، وقد اصطلح على تسميته بـ «كتائب عز الدين القسام»، منذ ذلك الحين، وكتائب عز الدين القسام تواصل مهامها الجهادية، وقد عرفت الكتائب فى تاريخها شخصيات فاعلة ومؤثرة، غيرت فى مجرى الأحداث، فناهيك عن الشيخ صلاح شحادة، وما أدراك ما صلاح شحادة، الذى اضطر أركان المؤسسة الصهيونية إلى الاعتراف بأنهم لا يملكون إزاءه إلا الاحترام، وأن كل السبل قد عجزت عن تليينه أو كسر إرادته.

هناك أسطورة الجهاد الفلسطينى المعاصر **الشهيد المهندس يحيى عياش**، الذى أسهم فى إدخال العمليات الاستشهادية فى حلبة الصراع، وقد ساهم المهندس فى إعداد وتخطيط سلسلة من العمليات أسفرت عن مقتل عشرات الصهاينة وجرح المئات، وقد اعتبر الصهاينة يوم اغتياله مناسبة تدعو للسرور لظنهم أن استشهاده سيؤثر فى العمل العسكرى ويضعف حماس.

وهناك **المجاهد عماد عقل** المجاهد الذى استشهد، ولم يكمل بعد عامه الثالث والعشرين، وقد شكلت جرأة عماد عقل ذعرًا لقوات العدو الصهيونى، إلى الحد الذى دفع أحد جنرالات الجيش الصهيونى للمجاهرة فى مؤتمر صحفى بأن جنوده يخشون مواجهة عماد عقل ليلاً.

وهناك **محمود أبو هنود** الشهيد الذى أرعب قوات العدو الصهيونى، وقد فشلت عدة محاولات لاغتياله، الأمر الذى جعل بعض أركان المؤسسة العسكرية الصهيونية يطلقون عليه «ذو الأرواح العشرة».

وإلى جانب هؤلاء الشهداء، وهم عينة فى سجل حافل هناك من ينتظر، ويأبى التبديل، وفى مقدمتهم «المطارد الأول» من قبل قوات الاحتلال الصهيونى **«محمد الضيف»** القائد الزئبقى الذى وتر أعصاب قيادات العدو من فرط مهارته فى التمويه، والاحتفاظ بسرية تحركاته، وقد جرت عدة محاولات لاغتياله كلها باءت بالفشل رغم تواجده فى المسرح العملى لإحداها، وقد تعجب الصهاينة من ذلك، وقال بعضهم: إن هناك كائنات غريبة تحميه.

تطور العمل العسكرى

ارتبط مستوى التطور فى العمل العسكرى بتراكم الخبرات لدى الأجهزة العسكرية لحماس من جهة، وبمقدار الشراسة التى تميزت بها الهجمة الصهيونية ضد الشعب الفلسطينى من جهة أخرى، فقد تطلبت العنجهية الصهيونية، وانفلات الآلة العسكرية ردودًا كابحة ورادعة، بصفة عامة يمكن القول بأن **المواجهة مع قوات الاحتلال الصهيونى قد مرت بمراحل عديدة أهمها:**

١ - **مرحلة المقاومة الجماهيرية:** حيث غلب الطابع

الاحتجاجي بأشكاله التى تمثلت برشق الحجارة، والقيام بالاعتصامات، وتنظيم الإضرابات.

٢ - **مرحلة حرب السكاكين:** وقد نشأت فى إطار زيادة الإجراءات الوحشية بحق الشعب الفلسطينى، والارتفاع الهائل فى عدد الجرحى والشهداء، جاءت هذه المرحلة فى أواخر السنة الثالثة، وبداية السنة الرابعة من انتفاضة الحجارة.

٣ - **المقاومة المسلحة،** حيث برزت الحاجة لتطوير العمل العسكرى حتى يمكن موازنة الإجراءات الصهيونية القمعية من ناحية، ولتخفيف العبء عن كاهل المجتمع الأهلى الفلسطينى بسبب الكلفة الاقتصادية للأشكال الاحتجاجية الجماهيرية.

كانت هذه الأشكال العامة فى مراحل المقاومة الفلسطينية، وبخصوص تطور العمل العسكرى لدى حماس، فإن ذلك يمكن استشفافه من خلال عرض المحاور الزمنية، ومستوى العمل العسكرى خلالها، ويمكن إجمال ذلك على النحو الآتى:

١ - **الفترة الأولى: من بداية انطلاق الحركة حتى نهاية ١٩٩١م:** بلغ عدد العمليات التى نفذها الجهاز العسكرى فى تلك الفترة ١٦ عملية.

٢ - **الفترة الثانية من بداية ١٩٩٢ وحتى بداية ١٩٩٤م:** تمثل هذه الفترة أهمية خاصة؛ إذ إنها شهدت تأسيس كتائب عز الدين القسام، وقد صاحب ذلك ارتفاع فى عدد العمليات، حيث وصلت إلى ٥٢ عملية، كما أن تلك الفترة شهدت انطلاقة العمليات

الاستشهادية داخل الأراضى المحتلة عام ٤٨، الأمر الذى أدى إلى ارتفاع عدد القتلى الصهاينة، حيث وصل العدد إلى ٧٧ قتيلاً، و١٧٢ جريحًا.

٣ - الفترة الثالثة من بداية ١٩٩٤، وحتى نهاية ١٩٩٧م:

شهدت هذه المرحلة تكثيف العمليات الاستشهادية، وما لحق بها من تطور فى مستوى الأداء لها، مما زاد من عدد القتلى الصهاينة الذين بلغ عددهم ١٨٩، ووصل عدد الجرحى إلى ٩٨٤.

٤ - الفترة الرابعة، وتشمل الحيز الزمنى من بداية انتفاضة الأقصى، وحتى ٢٨ من ديسمبر ٢٠٠٢م: وقد سجلت المقاومة الفلسطينية معدلات متسارعة فى عدد العمليات نظرًا لاشتراك كثير من الفصائل فى العمل العسكرى، والقيام بعمليات فى العمق الصهيونى، وقد بلغ عدد القتلى الصهاينة ٦٤٤ قتيلاً، وكانت نسبة مشاركة حماس فى إلحاق هذه الخسائر بالعدو الصهيونى ٤٥,٤٪ مقابل ٤٤,٦٪ لباقى الفصائل.

وقد ساهم ذلك فى ازدياد الحنق الصهيونى على الحركة، والتركيز على استهدافها، ووصل عدد شهداء الحركة إلى أكثر من ٢٣٠ شهيدًا كلهم من الجناح العسكرى، إضافة إلى استشهاد عدد من الرموز القيادية، ووصل عدد الأسرى إلى ٤٠٠٠، وقد اشتمل ذلك العدد على ثلة قيادية أمثال: حسن يوسف، الشيخ عبد الخالق النتشه، جمال أبو الهيجاء، الشيخ محمد طه، عباس السيد وآخرون.

النقلات النوعية فى العمل العسكرى

توضح النقلات النوعية مقدار التطور الحاصل فى مستوى الأداء، وتكشف عن الجهد المبذول من قبل مجاهدى الأجهزة العسكرية، ويمكن تلمس أثر هذه النقلات من خلال فحص ردود الأفعال الصهيونية عليها، فهذه النقلات أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أن زمن الرعب الأحادى قد ولى، وأن المعادلة الجديدة التى رسمها المجاهدون على الأرض تقول بتوازن الرعب، وتعادل القدرة على الردع، وإلحاق الخسائر.

ورغم أن العمل العسكرى لحماس قد شهد كثيرًا من التطورات والنقلات، والتى تتجسد فى عمليات نوعية فارقة، فإن المجال لا يتسع لتناولها بشكل حصرى، ومن ثم سنعرض لنقلتين هامتين:

١ - حادثة أسر وقتل الرقيب أول نسيم طوليدانو:

جاءت هذه العملية على خلفية اعتقال قوات الاحتلال الصهيونى للشيخ الشهيد أحمد ياسين، وقد ازدادت المتاعب الصحية للشيخ داخل سجون الاحتلال. مثّل الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين، ومحاولة فك أسره الشغل الشاغل لدى أبناء الجهاز العسكرى، وفى هذا السياق تمت عملية اختطاف ذلك الرقيب من أجل الضغط على العدو الصهيونى، وإجباره لإطلاق سراح مؤسس حماس.

تميزت العملية بالتخطيط المحكم، والدقة المتناهية، والجرأة

الفائقة، الأمر الذى أذهل قادة العدو الصهيونى، وسلب عقولهم، فقد تم أسر الرقيب من داخل العمق الصهيونى، فبعد عملية رصد واستطلاع قامت المجموعة ٥٣ من الوحدة الخاصة مصعب فى كتائب عز الدين القسام بأسر ذلك الرقيب فى الساعة الرابعة والنصف من فجر يوم ١٩٩٢/١٢/١٣، حيث كان يغادر منزله فى مدينة اللد، متوجهًا إلى مقر سريته فى حرس الحدود فى رام الله.

طالبت حماس بالإفراج عن الشيخ أحمد ياسين نظير الإفراج عن الرقيب طوليدانو، وأعطى رجال الجهاز العسكرى مهلة جعلوا أقصاها الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم، ولما لم يف العدو الصهيونى بمطالب حماس، وتجاوز المهلة الممنوحة، وحاولوا المراوغة اتخذ القرار بإعدام العسكرى الصهيونى.

عكست العملية حجم القدرة لدى الجهاز العسكرى لحماس، وتغلغل خلاياها، فقد تم أسر الرقيب طوليدانو من الأراضى المحتلة عام ١٩٤٨، وخلال ثلاثة أيام فشلت أجهزة الاستخبارات الصهيونية فى الاهتداء إلى مكانه قبل أن يعثر على جثته فى الصحراء.

شكلت العملية صدمة كبيرة، خاصة لدى أركان المؤسسة العسكرية، وانتقلت آثار الصدمة إلى المجتمع الصهيونى بأسره، وقد أفاضت الصحافة العبرية فى استجلاء دلالات العملية، من ذلك ما أوردته صحيفة يديعوت أحرونوت، والتى قالت فى عناوينها: إن مثل هذا العمل يهدد حتى وجود دولة إسرائيل، كما نقلت عن المساعد السابق لرئيس الشين بيت قوله: لقد جاء الوقت الذى يقول فيه رئيس المخابرات للحكومة لا توجد لدينا معلومات.

أرجعت السلطات الصهيونية فشل أجهزة الاستخبارات والأمن إلى عدة أسباب، جاء فى طليعتها صعوبة اختراق الخلايا المسلحة داخل حركة عقائدية كحركة حماس، وقد ذهب إلى ذات المعنى أحد الصحفيين الصهاينة، حيث أشار إلى أن المشكلة الأساسية التى تواجه المخابرات تتمثل فى طبيعة الشخصية التى يتمتع بها أعضاء حماس، فهم أناس يملؤهم الحماس الدينى، وينظرون إلى الدنيا على أنها مجرد ممر، وشخصية كهذه يصعب شراءها بالمال والنساء، وغيرهما من أدوات الإغراء.

أجمعت كل الصحف الصهيونية على أن تلك العملية انطوت على جرأة مذهلة حتى إن إحدى تلك الصحف وصفتها بأنها الأكثر جرأة منذ قيام «إسرائيل».

٢ - عملية مسيرة الأكفان:

قلبت العمليات الاستشهادية موازين الصراع رأسًا على عقب، فقد ظل العدو الصهيونى لفترة طويلة يمتلك وبشكل حصرى أدوات الترهيب، وإمكانات إلحاق الأذى بالشعب الفلسطينى، وجاءت العمليات الاستشهادية كتحول استراتيجى غيّر وبشكل جذرى واقع الصراع.

استهلت حماس باكورة العمل الاستشهادى بتلك العملية التى سميت بعملية مسيرة الأكفان، وقد سميت بذلك الاسم لأنها جاءت فى الوقت الذى كان يعتزم فيه المبعدون فى مرج الزهور التوجه صوب فلسطين، وقد أطلقوا على مسيرتهم «مسيرة الأكفان»، وقد قام على هذه العملية - العملية الاستشهادية - نفر من مجاهدى سرية شهداء عيون قارة فى كتائب عز الدين القسام.

مثلت العملية نقلة نوعية وتحولاً استراتيجيًا فى العمل الكفاحى الفلسطينى، فلأول مرة تتمكن مجموعة فلسطينية مقاتلة من اختراق مستوطنة تضم مصانع حربية تابعة لوزارة الحرب الصهيونية. موقع العملية كان مقهى يعج بالجنود الصهاينة، ويقع ذلك المقهى فى مفتصبة ميحولا على بعد ١٥ كيلو مترًا من نهر الأردن، تمت العملية فى ظهر يوم الجمعة ١٩٩٣/٤/١٦، حيث اقتحم الشهيد ساهر حمد الله النابلسى بسيارته المفخخة المستوطنة، واتجه نحو المقهى بسرعة متناهية، مما أدى إلى انفجار سيارته بحافلتين عسكريتين كانتا تنزلان جنودًا صهاينة.

أسفر الانفجار عن سقوط عشرات القتلى، والجرحى، واحتراق الحافلتين، وقد حاول العدو الصهيونى التكتم على خسارته حتى لا تضعف الروح المعنوية لجنوده، وللمجتمع الصهيونى عامة، ولم يدم هذا التكتم طويلاً، فبعد أن أعلن عن إصابة سبعة جنود فقط بجروح، عاد مكتب الناطق العسكرى ليعلن عن مصرع جنديين.

زلزلت العملية بنيان العدو الصهيونى، وأزعجت بشكل خاص قيادات الجيش الصهيونى، فقد سارع رئيس الأركان فى ذلك الوقت إيهود باراك إلى زيارة موقع الحادث، وبعد معاينة مسرح العملية وتفقد الخسائر صرح باراك الذى وقف مشدوهًا من هول الصدمة: أيها السادة إننا نواجه حربًا بالفعل.

أثبتت العملية مقدار تجذر حماس فى الواقع الفلسطينى، فقد تمت العملية والمئات من قيادات وكوادر الحركة قد تم إبعادهم إلى جنوب لبنان، بالإضافة إلى ذلك فقد أوضحت العملية مقدار ما

يتوافر عليه الجهاز العسكرى للحركة من طاقات وقدرات، مما يمكنه من الوصول إلى العمق الصهيونى، واختراق كافة التحصينات.

صارت حماس بمثابة الصداع فى الرأس الصهيونية، وقد حار كل المحللين والعسكريين الصهاينة فى كيفية مواجهة هذه الحركة، والحد من فعالياتها، وقد كتب المعلق الصهيونى الشهير زئيف شيف: «تواجه «إسرائيل» للمرة الأولى كيانًا أيديولوجيًا يلتزم بمبادئه مهما كانت الظروف والضغوط قاسية، صحيح أن قوات الأمن نجحت فى اعتقال عدد من ناشطى حماس، لكن الصحيح أيضًا أن حماس كانت تتعافى دائمًا، وتعود من جديد، إنهم مثل الأشواك، ما إن تقتلع واحدًا حتى ينبت محله اثنان».



شبهات حول العمل العسكرى

ليس ثمة ما يضير فى أن تتوجه النصائح والانتقادات الموضوعية لحماس، أو أى حركة فلسطينية من أجل تحسين الأداء والتنبيه، مخافة الوقوع فى الشراك، وكل حركة تصم آذانها عن سماع النصح، وقبول النقد وإخضاعه للفحص والدرس، فهي تتجنى أول ما تتجنى على ذاتها.

هذه الإطلالة ضرورية لتوضيح المراد من دفع الشبهات المثارة حول عمل حماس العسكرى، فهذه الشبهات ظلت متقولبة وثابتة، بما يعنى أن أعمال الحركة لم تكن فى يوم ما مقبولة ومقنعة من قبل من يثيرون تلك الشبهات.

يحاول البعض أن يربط عمل الحركة العسكرى بهدف أساسى مخبوء لدى الحركة، فبزعم هؤلاء، فإن حماس تستهدف من تصعيد عملياتها إظهار قوتها فى مقابل ضعف السلطة، وهدف حماس من وراء ذلك إزاحة السلطة الوطنية، والتفرد بالساحة الفلسطينية.

ويبدو أن تلك الفرى تتجاهل أبسط بدهيات التفكير، فإذا كانت حماس حريصة على الوصول إلى سدة السلطة والاستفراد بها، فلماذا تتهم بأنها لا تبدى التجاوب المطلوب فى الاندراج فى الأوعية السياسية السلطوية؟

وإذا كانت حماس ترغب فى اقتناص الموقع السلطوى، فمعنى ذلك ضمنيًا أن الحركة والقائمين عليها يسعون من وراء ذلك إلى تحقيق مكاسب ومزايا شخصية، والواقع الذى يعترف بحقائقه الموضوعية الجميع فى الساحة الفلسطينية وخارجها أن حماس اثبتت على الدوام أنها طليعة مجاهدة، ومن يغمز فى قناة الحركة من طرف خفى عليه أن يلتفت إلى حقيقة أن حماس، ورغم دورها الاجتماعى، والذى شهد به كل المراقبين حتى الغربيين أنفسهم لم يسجل على أى من أعضائها شبه فساد مالى، رغم تعدد مشاريع الحركة التكافلية، وحجم المردود المالى المنبعث من هذه المشاريع لتخفيف العبء عن كاهل الشعب الفلسطينى.

إلى جانب شبهة السعى للاستفراد بالسلطة هناك من يتدثر بالعقلانية، ويتمسح فى ذلك بالقاموس الذى بات ممجوجًا من فرط تكراره، قاموس الموضوعية وأخواتها، فتلك المفردات على وجاهتها المجردة توظف فى سياقات مبتورة، وحيل تنظيرية من أجل سحر الأعين، وسلب العقول.

وهذا الصنف يسوق دعواه فى إطار تحليلى يقوم على فكرة افتقاد العمل العسكرى لدى حماس لأية أهداف سياسية واضحة، ووفق ما يكرر هؤلاء فإن كل مقاومة لابد أن تستند إلى استراتيجية واضحة، وإلى أهداف سياسية موضوعية قابلة للتحقيق، فلا يجوز أن تنطلق المقاومة من أجل المقاومة، أو أن تطرح أهدافًا سياسية غير قابلة للتحقيق على أرض الواقع.

هذا القول من الممكن أن تنطلى جاذبية تنظيره على الذاكرة المثقوبة، أما ذاكرة أمتنا الجمعية فمازالت عصية على الترويض والخداع، فالأحداث والمحن التى مرت بها القضية الفلسطينية تؤكد أنه لا سبيل لانتزاع الحقوق سوى الثبات على المقاومة، فكل التجارب ذات المنحى الإنجازى فى الصراع مع العدو الصهيونى، كانت قاعدتها الأساس المقاومة، والاشتباك مع العدو، على النقيض من ذلك، فإن نهج الوداعة السياسية والمقاومة عبر التفاوض لم تجلب إلا النكبات للشعب الفلسطينى وقضيته.

وحماس باستقرائها لتلك الخبرة تنحاز إلى الموضوعية الجادة، وتستجيب لمقتضيات العقلانية أكثر من أولاء الذين يقفزون فوق الحقائق، فحماس نظرت إلى المقاومة، وفى صدارتها العمل العسكرى كأساس استراتيجى قادر على إجبار العدو على التنازل مرحليًا عن ذلك الحد الذى يمثل الحدود الدنيا للشعب الفلسطينى ممثلة فى دولة كاملة السيادة عاصمتها القدس على كامل الأراضى المحتلة عام ١٩٤٨، مع ضمان حقوق اللاجئين، وفى مقدمتها حق العودة، شريطة ألا يحرم ذلك الحركة والأمة من الإعداد لانتزاع الحقوق الكاملة فى فلسطين التاريخية.

وإذا كـان هناك من ينظر إلى اتفـاقـيـة أوسلو ورؤية الرئيس الأمريكى عن الدولة الفلسطينية، وحديث العدو الصهيونى عن دولة فلسطينيـة على أنها إنجـازات، فـإن كل ذلك رغم عـدم التـوافق مع تضـميناته وعدها إنجـازًا قد نتج عن فعل المقـاومة التى اضطرت العـدو الصهـيونى إلى البـحث فى أيسـر السبل للخـروج من الواقع المأزوم الذى أوجدته المقاومة.

والشـاهد أن كل التجارب والمحكات قد أثبتت أن حماس ليست ذراعًـا عـسكريًا منفلتًـا، **فلدى الحـركـة من الوعى السـيـاسى والرؤية النافذة ما يمكنها من معرفة ما الذى تريده، والذى يخـدم أولاً وقـبل كل شىء هدف التـحـريـر**،فـحـمـاس تراقب الأوضـاع عن كثب، وتدرك التـحـولات والمستـجـدات، وتجـتـهـد فى تقـديم اسـتـجـابات مـرنة وفـعـالة دون الانجـرار خلف التنازلات، والانسجام أمام العدو، والتفريط بمشروع المقاومة.

أتى زمـان على البـعض حـاول من خـلاله تجاهـل الحـقـائق، بل سـعى إلى طمسـهـا وتزويـرها، فـقـد نسب هؤلاء إلى قـادة حـمـاس حـرصـهـم على ذواتهم، وابتـعـادهم بأبنائهم عن سـاحـات الجـهـاد، ومـواطن الاسـتـشـهـاد، فـى الوقت الذى يقـدمـون فـيـه أبناء الشـعب الفلسطينى قربانًا على مذبح العمليات الاستشهادية.

ذاعت تلك التـخـرصـات قبل مـوجـة الاسـتـهـداف لقـادة حـمـاس، وأثناء ذلك التزمت حـمـاس، وآثر قادتها الصمت والابتعاد عن الولوغ فى هذه المهاترات.

ولم يأت الرد من قبل حماس على صورة خطابية أو بلاغية، بل

جاء ممهورًا بالدم، متوجًا بالثبات، فحركة حماس تكاد تكون الحركة الوحيدة، ومعها الجبهة الشعبية، التى استهدف كادرها القيادى الأعلى، والجميع بات يحفظ عن ظهر قلب قيادات حماس الذين استشهدوا، والذين استهدفوا، فنجاهم الله، لكن ذلك لم يزد الحركة إلا ثباتًا، ولم يزحزح قياداتها قيد أنملة عن مواصلة مشروع المقاومة.

وقد توج ذلك بما كشف عنه د. عبد العزيز الرنتيسى من تلقى الحركة رسالة أمريكية مفادها تخلى الحركة عن المقاومة لقاء حماية قادتها، ولم تدخل الحركة فى حيز التفكير فى هذه المقايضة، وأعلن جميع قادة حماس أنهم يتوقون إلى الاستشهاد كغيرهم من أبناء الشعب الفلسطينى، وأنهم لن يؤثروا دماءهم على قضية شعبهم.

ولم تعبر حماس عن ذلك بالمداد، بل عبّرت عنه بدماء شهدائها من القادة، وفي مقدمتهم شيخ المجاهدين: أحمد ياسين.

على صعيد دعوى احتفاظ قيادات حماس بأبنائهم بعيدًا عن ساحات المواجهة، فحماس أيضًا حازت قصب السبق فى تقديمها العدد الأكبر من الشهداء الذين ينتسبون إلى قيادات الحركة المقاومة، وفى هذا السجل نقرأ: طارق دخان، محمد عبد الرحمن تمراز، ياسر محمد طه، أمجد نزار ديان، خالد الزهار وآخرون.

■ ● ■

المصادر والمراجع

١ ـ ميثاق حماس، د.ن.، د.م.

٢ ـ سلسلة بيانات الحركة، المكتب الإعلامى لحماس.

٣ ـ موقع حماس على شبكة المعلومات.

٤ ـ د. عبد الله عزام، حماس: الجذور التاريخية والميثاق، مكتب خدمات المجاهدين، د.م.

٥ ـ جواد الحمد ـ إياد البرغوثى، دراسة فى الفكر السياسى لحركة حماس (مركز دراسات الشرق الأوسط: عَمان ط٣ ١٩٩٩).

٦ ـ غسان دوعر، أسود حماس (منشورات فلسطين المسلمة: لندن ط١ ١٩٩٣).

٧ ـ غسان دوعر، موعد مع الشاباك: تحليل عمليات حماس العسكرية لعام ١٩٩٣ (منشورات فلسطين المسلمة: لندن ط١ ١٩٩٥).

٨ ـ مهيب النواتى، حماس من الداخل (دار الشروق: عمان، ط١ ٢٠٠٢).

٩ ـ خبرات الحركة السياسية الفلسطينية فى القرن العشرين (المركز القومى للدراسات والتوثيق: غزة ط١ ٢٠٠٠).

■ ● ■



الفهرس

هذا الكتاب

حركة المقاومة الإسلامية (حماس) حركة شغلت العالم كله منذ تأسست فى أوائل ديسمبر عام ١٩٨٧م وحتى اليوم، مما دفع كثيراً من الباحثين والمحللين للكتابة عنها بُغية كشف كنهها، وخلفياتها التاريخية، وجذور نشأتها، ورؤيتها لطبيعة الصراع مع العدو الصهيونى.

إلا أن حاجة كثير من القراء إلى دراسة موجزة توازن بين الحاجة إلى المعرفة، وعدم القدرة على الاستغراق فى التفاصيل، دفعت «مركز الإعلام العربى» إلى نشر هذه الدراسة الجادة والمختصرة للباحث الأستاذ/ علاء النادى.

وقد حاول الباحث أن يعرض بإيجاز لجذور حماس، ومنطلقاتها الفكرية، وأهدافها، ورؤيتها لطبيعة الصراع، وطرحها السياسى والاجتماعى، وعلاقتها بمكونات المجتمع الفلسطينى. كما تعرّض لحماس والفكرة التكافلية، ورؤيتها للمرأة كشريك فى الجهاد من أجل تحرير فلسطين، وأوضح وسائل التغيير الاجتماعى لديها، ورؤيتها للقطاعين الإقليمى والدولى.

وتحدث الباحث عن حماس والعمل العسكرى، فاستعرض تاريخ هذا العمل وتطوراته ونقلاته النوعية، واختتم حديثه بتفنيد الشبهات التى يثيرها البعض حول العمل العسكرى لحماس [illegible] للقضية الفلسطينية.

نرجو أن يستفيد القارئ من هذه الدراسة التى تأتى [illegible] ظروف دقيقة تحيط بقضية فلسطين وأهلها.

صلاح عب



ت: ٧٤٤٥٤٥٥ - ٣٨٤٤٤٢٢ (٢٠٢+) - ف: ٣٨٥١٧٥١ (٢٠٢+)
e.mail:media-c@ie-eg.com